

روايات مصرية للجيب

رجل المستحيل

نفس الدم

102

د. نبيل فاروق

www.lilas.com/vb3
eman

الناشر
الأسسة العربية الحديثة
بيروت - لبنان
الطبعة الأولى: ١٩٩٥



د. فاديل فاروق

**رجل
المتحيل
سلسلة
روايات
بوليسية
للشباب
زاخرة
بالأحداث
المثيرة**

711059

نهر الدم

- لماذا التقت دونا (كارولينا) بـ (ادهم صبرى) فى قلب نيويورك ؟
- ما الذى أقحم (ادهم) فى ذلك الصراع على الزعامة ، بين عائلات المافيا ؟
- ترى ما دور المخابرات المصرية فى ذلك الصراع ؟ ولبن يراق (نهر الدم) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل مع (رجل المستحيل) .



www.liilas.com/vb3
102
eman

التميز فى مصر
وبالعالم بالدولار الأمريكى
فى مراكز دون لغربية والعالم

العدد القادم المحرق

١- أيام القتل ..

بدأ ذلك الصباح صحوًا دافئًا ، على عكس المؤلف
في ولاية (وسكنسون) الأمريكية ، في تلك الفترة من
العام ، وألقت الشمس أشعتها الذهبية على ضيعة
الملياردير (ريكاردو بولتي) الشاسعة ، وانعكست على
قباب قصره المنيف ، الذي يقام على الطراز نفسه ،
الذي شيده أجداده في (صقلية) ، منذ عشرات السنين ،
وراحت صفحة حوض السباحة تتألق وتتلألأ ، وترسم
عشرات النجوم الصغيرة ، قملًا (بونتي) صدره
بأهواء النقي ، وتنشط في قوة ، وهو يقول لحارسه
(لينو) :

- أظن أن حمام الصباح سيختلف اليوم يا (لينو) .

الحنى (لينو) في احترام بالغ ، وهو يقول :

- بالتأكيد يا دون (بونتي) .. بالتأكيد .

استنشق (بونتي) الهواء مرة أخرى في قوة ، ثم

خلع معطف الاستحمام ، واتجه نحو لوح قفز قصير ،

يرتفع مترًا واحدًا عن سطح الماء ، وقال في ابتعاش :

رجل المستحيل

(أدهم صبرى) .. ضابط مخبرات مصرى ، يرمز
إليه بالرمز (ن-١) .. حرف (النون) ، يعنى أنه فئة
نادرة ، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه ،
هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص .. فهو
يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة ، من الممسدس إلى
قاذفة القنابل .. وكل فنون القتال ، من المصارعة
وحتى التايكوندو .. هذا بالإضافة إلى إجادته الثامنة
لست لغات حية ، وبراعته الفائقة في استخدام أدوات
التنكر و (المكياج) ، وقيادة السيارات والطائرات ،
وحتى الغوصات ، إلى جانب مهارات أخرى متعددة .
لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل
واحد في سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات . ولكن
(أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن
جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات
العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

- قفزة واحدة، وريح ساعية من السباحة الهادئة،
وبعدها ترتدى ثياباً للحاق باجتماع مجلس إدارة
المؤسسة .. أليس كذلك يا (نينو) ؟

عاد (نينو) ينحنى فى احترام شديد ، مجيباً :
- بلى يا دون (بونتى) .. هو كذلك .

صعد (بونتى) إلى لوح القفز ، وفرد ذراعيه عن
آخرهما إلى الأمام ، فى مستوى كتفيه ، وملا صدره
بالهواء النقى ، و ..

وفجأة ، لمح ذلك الكابل الضخم ، الذى تدلى فى
الماء ، عند أركان الجعيد لموض ، فهتف منزعجاً :
- اللعنة ؟ .. ما هذا بالضغط ؟

كان المفروض أن يتوقف ، وأن يتراجع فى قفزته ،
ولكن المؤسف أنه لم ينطق بهذه العبارة ، إلا وقد
دفع جسده إلى الأمام بالفعل ، ولم يعد هناك مجال
للتراجع ..

وفى قوة ، لوح (ريكاردو بونتى) بذراعيه فى
الهواء ، وصاح :

- لا .. (نينو) .. التجدد .

ارتفع حاجبا الحارس القاص فى دهشة ، وهو يحدى

فى سيده ، الذى فقد توازنه ، واندفع جسده إلى الأمام ،
نحو حوض السباحة ، وتساءل فى حيرة عن سر
استنجاده به ، وهو الذى يجيد السباحة كالأسماك ،
ولكنه ، وبحركة غريزية ، انتزع مسدسه المعلق تحت
إبطه من غمده ، وصاح :

- ماذا حدث يا دون (بونتى) ؟

ومع آخر حروف كلماته ، ارتطم جسد (بونتى)
بالماء ، وانطلقت تلك القرقة الرغبية ..

قرقة قوية عنيفة ، تألفت معها مياه الحوض ،
وانتفض منها جسد (بونتى) . وهو يطلق صرخة
مكتومة ، قبل أن تنقبض عضلات جسده كله ،
وتتضاعف قوة انتفاضه ، و (نينو) يصرخ فى ذهول
مرتاع ، وينوح بمسدسه فى حيرة واضطراب :

- ماذا هناك يا دون ؟ .. ماذا هناك ؟

ولكن فجأة ، هدا كل شيء ، وتوقفت انتفاضات
(بونتى) ، واتسعت عيذه وحفظت على نحو مخيف ،
وجسده يتراخى فى الماء ، وقد اسود وجهه وانتفخ ، ثم
غاص فى الأعماق ..

وعندئذ ..

عندما فقط ، اتجه (نينو) إلى تلك التابل الأسود ،
الذي يمثل من وحدة توليد الكهرباء ، إلى مياه
الحوض ..

وفهم (نينو) ما حدث ..

أدرك أن صاعقة أصابت سيده في مياه الحوض ،
وأن تركه إلا جثة هامدة ..

أدرك (نينو) هذا ولكن ..

بعد فوات الأوان ..

* * *

حدث الاستعدادات على قدم وساق ، في قصر
(كارلو بيتشولا) ، في ولاية (كاليفورنيا) ، غرب
الولايات المتحدة الأمريكية ، كما يحدث عادة ، عند
يعقد (بيتشولا) اجتماعه الدوري ، مع مديري شركاته
ومؤسساته ، في بداية كل شهر ، وبدأ الرجل وسيما
أنيقا كعادته بقماته الفارحة وجسده الممشوق ، وهو
يشرف بنفسه على الاستعدادات والتجهيزات ، ويلقى
أوامره لرجاله في غطسة صرامة :

- اتقل هذه اللوحة إلى هناك .. وأنت .. ضع هنا
خمس مائة مقاعد كبيرة . واتقل هذه المقاعد الصغيرة

لمؤخرة .. هل اختبرت جهاز العرض ؟ .. راجع قائمة
الطعام .. هيا .. لماذا تتحركون بهذا البطء الشديد ..؟
هل استأجرتكم من ملجأ للعجزة ، أم من دار للمعوقين ؟؟
وعلى الرغم من أن كلا منهم كان يؤدي عمله
بمتهى الدقة والإنجاز ، إلا أنه لم يتوقف عن إبداء
غضبه وتبرمه لحظة واحدة ، ثم لم يلبث أن أشار
لسكرتيره ، قائلاً في حدة :

- أين عربة السيجار ؟ .. ألم أمركم بوضعها في

مناول يدي دائماً ؟

تلقت السكرتير حوله غي ذهشة ، وهو يغتم :

- لقد كانت هنا بالفعل ..

صاح به (بيتشولا) في غضب :

- وأين ذهبت إذن .. هل تبخرت ، أم فررت من هنا ..

قبل أن نواجهها بالتيران ؟

أسرع الرجل إلى المكتب ، هاتفا :

- سأحضر غيرها يا دون ، في لحظة واحدة .

كانت عربة السيجار مستقرة على سطح مكتب

(بيتشولا) بالفعل ، فاختطفها السكرتير بسرعة ، وعا

بها إلى حيث وقف رئيسه ، وهو يتسائل في حيرة عن

نقلها من قاعة الاجتماعات إلى المكتب ، ولكنه لم يطل
سؤاله ، وهو يفتح العلبة أمام (بتشولا) ، وينحلي في
احترام ، قائلا :

- سيجارك يا دون .

مط (بتشولا) ثقبته ، وهو يلتقط السيجار الكوبى
الناخر من العلبة الفضية ، وقضم طرفه بأسنانه ، ثم
بصقه فى أحد الأركان ، وترك الرجال يهرعون
لالتقاطه ، وهو يشعل السيجار بقدحه الذهبية ،
ويواصل انتقاداته ونوحياته ، قائلا :

- هذه اللوحة مائلة هناك .. من زاح تلك الأريكة
من مكاتبها .. هل أحضر أحدكم زجاجات الشمبانيا ؟
وسحب نفسا عميقا من السيجار ، وثقت الدخان فى
الهواء ، وهو يستنطر :

- يا لكم من مهملين !.. إنكم تلوقون السلاحف
بطنا ، والبغال عن ..

العهق لسانه بغتة ، وجحظت عيناه ، وانطلقت من
حلقه شهقة قوية ، أشبه بصرخة جريح ، وهو يلوح
ببده ، وكأنه يحاول التشبث بشيء ما ، فهتف به
سكرتيره فى دهشة لزعجة :

- دون (بتشولا) !.. ماذا أصابك ؟

حقق (بتشولا) فى السيجار ، وحاول أن يتنطق
شيئا ، ولكن عنيبه ازدادت جحوظا ، وترنح لحظة ، ثم
هوى على وجهه ، وارتطم بالأرضية فى صوت قوى ،
جعل الجميع يهرعون إليه ، وهم يصرخون :

- دون (بتشولا) !.. استدعوا الطبيب .. أسرعوا .

ولكن أحد الرجال فحص (بتشولا) جيدا ، ثم التقط
السيجار ، وشم طرفه ، قبل أن يهتف فى انزعاج شديد :

- إنه مسموم .

كان الطبيب يعدو قادمًا من بعيد ، قبل أن يكمل
حتى ارتداء ثيابه ، ولكن نظرة واحدة من الرجال إلى
وجه (بتشولا) ، وعنيبه الجاحظتين الجادتين ، جعلتهم
يذكرون أنه لم تعد هناك فائدة من وصول الطبيب ، فقد
انتهى دون (بتشولا) ..

انتهى إلى الأبد ..

* * *

انطلقت سيارة سوداء فارغة ، بمحاذاة شاطئ
(ميامي) ، فى ولاية (فلوريدا) الأمريكية ، وراحت
تتجاوز السيارات فى وقاحة مذهنة ، وكأن صاحبها
يمتلك المنطقة كلها ، ويكره أن يزاحمه أحد فيها ..

ولكن الأكثر إشارة لندمشة ، أن أحداً من قائدى السيارات ، المغيرة ، لم يبتسببت شفة ، أو يحاول الاعتراض بحرف واحد ، على الرغم من تلك المسارات المجنونة ، التى تتخذها السيارة الفارعة ، والتى تتجاوز كل قواعد المرور وأصول اللبقة ..
هذا لأن الجميع كانوا يعرفون من صاحب هذه السيارة ..

إنه دون (فرناتو جيتزو) ، أثرى أثرياء (فلوريدا) ، وصاحب أكبر استثمارات فيها .
ولكن هذا وحده لم يكن يكفى لدفع فى كلوبهم كل هذا الخوف ..
لقد كان هناك سبب آخر ..
سبب أكثر خطورة ..

فدون (جيتزو) ، مثله مثل دون (بنتشولا) ودون (بونتى) ، واحد من الزعماء الكبار ..
زعماء (المافيا) ..

وفى داخل السيارة الفارعة ، وخلف زجاج مصفح معتم ، جلس دون (جيتزو) يشعره الأثيب ، وسنوات عمره التى تجاوزت الستين عاماً أو عامين ، يتحدث إلى

محاميه الخاص ، داخل ما يشبه الصالون الصغير ، وهو يلوح بكفه ، قائلاً :
- اعتقد أنه من الأفضل أن نعيد التفكير فى استثماراتنا هنا ، فالخوف والقوارب لا تربح الكثير ، ثم إن نسب البطالة تتضاعف ، و ...
يتر عبارته دفعة واحدة ، وهو يسأل المحامى :
- لماذا تبدو متوتراً هكذا ؟

أجاب المحامى فى ارتباك :
- إننا نتحرك داخل المدينة وحدنا يادون (جيتزو) ،
بلا حراسة على الإطلاق .. ألا تشعر بالخوف ؟ عشرات
هنا يهتمهم التخلص منك .. أعنى من المنظمات المناهضة
على الأقل ..

فهنه دون (جيتزو) ضاحكاً ، قبل أن يقول :
- أهذا كل ما يقلقك .. اطمئن يا رجل .. لسنا نحتاج
إلى الحراسة هنا ، مادامنا داخل السيارة .. هل تعلم كم
كلفتنى سيارتى هذه ؟ .. ما يقرب من ثلاثة ملايين
دولار .

ارتفع حاجبا المحامى فى دهشة ، وهو يهتف :
- يا له من مبلغ ! .. ثم أقصوّر أبداً أن تبلغ سيارة
هذا الثمن .

هـ (جيترو) كتفيه ، وقال :

- إنه ثمن متواضع يا رجل ، لو علمت أنها مصفحة بالكامل ، ولا يمكن أن تخترقها قذيفة مدفع مضاد للدبابات .. حتى زجاجها يحتاج إلى طن من المتفجرات لونها ، وأرضيتها عبارة عن توحين من الصلب ، بسبك ثلاثة سنتيمترات ، وحتى إطاراتها لا توقفها الرصاصات ، فهي ليست مجوفة ، وإنما مصنوعة من مادة خاصة ، تجعلها شديدة المرونة والمتانة في آن واحد .

ثم عاد يقفه ضاحكاً ، ويضيف :

- إنها تحفة فنية ، لا يمكن أن يخترقها جيش كامل .
جلف المحاسي عرقه ، وهو يغمغم :

- لا بأس ، ما دمت تثق بها إلى هذا الحد يا دون .

ابتسم زعيم (المافيا) ، وقال وهو يفتح باباً صغيراً داخل السيارة :

- اطرح قلبك جانباً يا رجل .. قل لي : ماذا تفضل ،

إزالة هذا التوتر ؟ .. الفودكا أم المارتيني ؟

تمتم المحاسي ، ولم يزايله توتره بعد :

- الفودكا .

استك دون (جيترو) زجاجة الفودكا ، وجذبها ..

وجعاً ، التبه إلى آتيا أثقل من الزجاجات المعقدة ، فاعتد حاجباه ، وهو يمسك قاعدتها ، قائلاً :

- ماذا أصاب هذه زجاجة ؟ .. إنها تبدو كما لو ..

بتر عيارته بقتة ، واتسعت عيناها في ارتجاع ،

عندما انفصلت قاعدة الزجاج في يده ، وأطل منها جسم

يشبه الماعة الرقمية ثقلية ، تمتد منه عدة أسلاك

إلى الزجاجات نفسها ..

وصرخ المحاسي في رعب هائل :

- قنبلة .. اخترس يا دون .

وثبت يده إلى مقبض الباب ، وحاول أن يفتحه ،

و ..

ودوى الانفجار ..

دوى داخل السيارة المصفحة ، التي أثبتت أنها

تستحق كل ينس دفع فيها ، فلم يتجاوز الصوت جدرانها

قط ..

كل ما رآه أصحاب السيارات المحيطة بها ، هو

وميض غليظ داخلها ، ثم كتلة من الدم ارتطمت

بزجاجها الأمامي ، وأغرقت تماماً ، مع انفجاسة قوية ،

استغرقت ثواني معدودة ، قبل أن تستقر السيارة في موضعها ..

ومن المؤكد أن أحداً لن يعبئه تمييز جثة نون (جيتزو) من جثة السلق والمحامي ..

هذا لو عثر أى مخلوق على ما يمكن اعتباره جزءاً من جثة .

* * *

قبض (قدرى) أصابعه في حرص ، وفردهما في بطن ، أمام عيني طبيبه المعالج ، الذى اتهمك بضع دقائق في فحص الأصابع ، وراحة اليد ، والأخامل ، حتى شعر (قدرى) بالصخر ، فسأته في شيء من التوتر :
- أهذا أفضل ما يمكن تتوصل إليه ؟

رفع الطبيب عينيه إليه ، وعدل وضع منظاره الطبي فوق أنفه في بطن وهذء ، قبل أن يجيب :
- ما زلنا في بداية العلاج .

هتف (قدرى) محنقاً :

- بداية ماذا ؟ .. إنك تقطع ساعة كاملة من حياتي

يومياً ، لتدريب أصابعى ، وتنشيط أطرافها العصبية ، منذ أكثر من شهرين ، ثم تقول لى : إننا ما زلنا في بداية العلاج !!

ارتسمت ابتسامة باهتة على شفطي الطبيب ، وهو يقول :

- لا تتعجل النتائج يا مستر (قدرى) .. نجاة يدك من الهتر يعد بمثابة معجزة ، وعودتها إلى طبيعتها تحتاج إلى عام كامل من العلاج الطبيعى على الأقل .
أظن اليأس من عيني (قدرى) ، وهو يومئ برأسه في أسى ، قائلاً :

- هذا يعنى أنه لن يمكننى العودة لممارسة عملى أبداً .

أجابني الطبيب في بساطة :

- هذا يتوقف على طبيعة عملك هذا .

تهدد (قدرى) ، مخمضاً :

- إنه عمل شديد الدقة والحساسية .

سأله الطبيب في اهتمام :

- ألا يمكنك مزاولته بيدك اليسرى ؟

عقد (قدرى) حاجبيه ، وهو يقول :

- لمست أعتقد أن العمر يكفى لتدريب اليد اليسرى ،

على ما اكتسبته اليمنى ، من طول العمل والتدريب .

ثم رفع يده اليمنى في وجه الطبيب ، وحرك

أصابعها في بضع ، مستطرداً :

- هل تعلم أن هذه اليد كانت تصنع معجزات أكثر ،
في العائم الذي كنت أنتسئ إليه ، قبل أن يحط بها أحد
الأوغاد (١٠) ؟

عادت الانسامة الباهتة إلى شفتي الطبيب ، وهو
يقول :

- وأى عالم هذا ، الذي كنت تثمئ إليه ؟ .. هل
كنت تعمل بالفن ؟

صمت (قذرى) لحظات ، ثم ابتسم بدوره ، مجيباً :
- يمكنك أن تقول هذا .. ولكنه فن من نوع
خاص .. خاص جداً .

أوما الطبيب برأسه متفهماً ، قبل أن يقول :
- صدقتى يا مستر (قذرى) .. كل شيء يمكن
إنجازة ، لو استخدمنا العقار السحري ، الذي لا يقبل
أيذا .

بدأ التساؤل فى عيني (قذرى) ، وهو يغتمم :
- العقار السحري ١١ .

انسعت انسامة الطبيب ، وهو ينهض من مقعده ،
ويشير إلى (قذرى) ، مجيباً :

(*) راجع قصة (الضربة القاصمة) .. المغامرة رقم (١٠٠) .

- نعم .. إرادتك .

قالها وانصرف ، وترك (قذرى) خلفه ، يدير
الكلمة فى رأسه ، ويردها فى أعماقه ، قبل أن يتطلع
إلى يده المصابة ، متعجباً :

- ترى هل ...

لم يبق تداؤه ، وإنما هن رأسه فى قوة ، ونهض
يربث على كرله الضخم ، ويتنهأ هاتفا :

- وكيف تنمو الإرادة مع طعنكم المسلول ، الخالى
من الدسم ؟

مط شفتيه متأسباً ، وغادر حجرة الكشف ، لينقطع
ممرات المستشفى الطويلة المتقاطعة ، حتى بلغ قسم
الرعاية الممرضة ، وانحرف فى نهايته ، ليتجه إلى قسم
الحالات الحرجة ، و ...

وفجأة ، توقف فى مكانه ، وارتفع حاجباه فى تأثر
واضح ، وهو يتطلع إلى حجرة (منى) ، من خلف
جدارها الزجاجى السميك ..

كانت المسكينة غارقة فى غيوبتها الطويلة ، التى
لم تفارقها منذ ذلك الحادث المؤسف فى (لوس
الجلوس) (*) وقد اتصلت بجسدها عشرات الأكابيب

(*) راجع قصة (الضربة القاصمة) .. المغامرة رقم (١٠٠) .

والأسلاك العنقبة . وتراصت حولها أجهزة فحصر
الإشارات المخفية والقلبية والعصبية ..

ولكن ما أثار انفعالاته بالفعل ، كان ذلك المشهد ،
الذي وقعت عيناه عليه هناك ..

لقد كان (أدم) يجلس إلى جوار فراشها صامتاً ،
يتطلع إلى وجهها في مزيج من الحب والحزن والتعاطف
والإشفاق ، ويده تحتضن كفها الرقيقة في حنان غامر ،
وكأنه يبيتها هواه وبفاء قلبه ، عبر معزوفة صامتة ،
تواصل نغماتها بين القلبين في نغومة وشفافية ، حتى
ولو غرق العقل في أعماق غيبوية في الوجود ..

ولندائيق ثلاث ، تجعد (قدرى) في مكانه ، وهو
يراقب ذلك المشهد اصامت الماكين ، في تأثير عميق ،
وعندما انتبه إلى نفسه ، كانت الدموع تغرق وجهه ،
وتسيل من عينيه في غزارة ، لمسحها براحته ، وهو
يتقدم نحو الحجرة على أطراف أصابعه ، وما إن دفع
بابها ، وعلى الرغم من أن الباب لم يحدث أدنى صوت ،
التفت (أدم) إليه ، وتطلع إليه لحظة في صمت ، ظل
وجهه خلالها محتفظاً بحزنه وحالته ، قبل أن يختفي كل



لقد كان (أدم) يجلس إلى جوار فراشها صامتاً ، يتطلع إلى وجهها
في مزيج من الحب والحزن والتعاطف والإشفاق ..

هذا بختة ، ويغوص في أعماق (أدهم) ، وهو يبتسم قائلا :

- صباح الخير يا (قدرى) .. كنت في طريقى إليك ، ولكننى أردت أن ألقى تحية الصباح على (منى) أولا .

تقدم نحوه (قدرى) ، وصافحه في حرارة ، وهو يسأله :

- متى وصلت إلى (أمريكا) ؟

أجابته (أدهم) ، وهو يعيد يد (منى) إلى فراشها في رفق وحنان :

- منذ ساعة واحدة .. لقد أقيمت حقيقتي في الفندق ، وأتييت إلى هنا مباشرة .

تطلع إليه (قدرى) لحظة أخرى في صمت ، ثم احتواه بين ذراعيه فجأة ، وهو يهتف :

- حمدا لله على سلامتك .. حمدا لله .

شعر (أدهم) بمدى تأثير (قدرى) ، فربت على كتفه مشجعا ، وقده في هدوء إلى خارج الحجرة . وهو يسأله :

- كيف حالك الآن ؟

تلهّد (قدرى) ، وأجاب :

- إنها تتحسن في بضع شديدا .

ثم تطلع إليه ، مستطرذا في تأثر :

- والواقع أنني أدين لك بمدى هذديا (أدهم) ، فلو لا ما أنفقته في سخاء لما ...

قاطعته (أدهم) بسرعة :

- إنك تدين بفضل لله (سبحانه وتعالى) وحده .
يارجل : فأموال الدنيا كلها لم يكن يقرتها إنقاذ منك ، لو لم يكتب لها خالقها الشفاء .

ارتفع حاجبا (قدرى) ، وهو يقول :

- ونعم بالله .. (أدهم) .. أنت .. أنت ...

غلبه تأثره ، فاخترقت الكلمات في حلقه ، وارتجفت شفاهه ، و ...

« كنت أعلم أنني سأجذك هنا .. »

البعث ذلك الصوت الأثووي من خلفهما فجأة ، فالتفتا إليه في آن واحد ، وتلاشى تأثير (قدرى) دفعة واحدة ، مع الدهشة التي ملأت نفسه ، وهو يحث في وجه صاحبة الصوت ، في حين انعقد حاجبا (أدهم) في شدة ، وهي تستطرد في أوتار ملحوظ :

٢- الزمالة ..

.. أنا في حاجة إليك .
وكانت هذه هي آخر مخلوق ، بتوقع (أدهم)
رويته ، في هذا المكان ..
كانت (كارولينا) ..
دونا (كارولينا) (*) ..

* * *

من المؤكد أن (أدهم) لم ير دونا (كارولينا) قط
على هذه الصورة ، من العصبية والتوتر ، وهي تنقث
لدخان سيجارتها ، داخل سيارتها الفاخرة ، التي تقطع
بهما شوارع (نيويورك) ، في بطء شديد ، يفرضه
الازدحام البالغ ، ونقول ملوحة بأصابعها :

.. أنت تعلم أنه عندما نشأت (المافيا) ، في نهايات
القرن التاسع عشر ، في جزيرة (صقلية) ، كانت
تتكون من عدد من الرجال الأشداء ، الذين استعان بهم
الإقطاعيون ، لإرهاب وتأمين الفلاحين العاملين في
شيعاتهم ، ولكن هؤلاء الرجال سرعان ما شكّلوا تنظيم
خاصًا بهم ، أطلقوا عليه اسم (كوزا نومسترا) .
وراحوا يفرضون إرادتهم على الإقطاعيين أنفسهم ،
حتى صاروا قوة لا يستهان بها ، وتطوّر اسمهم إلى
(المافيا) ، نظرا لأن كلمة (مافيا) تحمل معنيين
جميلين ، فهي بالغة الصقلية الفصحى تعني الكبرياء
وعزة النفس ، وباللغة العامية تعني الجمال والرشاقة
والكمال .. ومع مطلع القرن العشرين ، انتقلت
(المافيا) إلى (أمريكا) ، مع المهاجرين إليها ،



(*) راجع قصة (الضربة الفاصلة) .. لمغامرة رقم (٢٤٠)

وهنا نمت وتطورت ، وراحت تفرض حمايتها على أصحاب المتاجر والمطاعم والمقاهي ، مقابل مبالغ كبيرة ثابتة ، ثم لم تلبث أن تحولت إلى تهريب الخمور ، والقمار ، والمخدرات ، وبعد آخر من الأنشطة المحظورة (*) .

سألها (أدم) في هدوء ، وهو يسترخي في مقعده :

- ما ضرورة هذه المقدمة الطويلة يا دون ؟
اعتقد حاجباها الجميلين ، وهي تقول في توتر :
- إنها مقدمة ضرورية .. استمع إليها .. أرجوك
لواج بيده ، قائلا :
- لا بأس يا دون .. أتمنى روايتك .. كلني الآن مصفية .

التقطت نفسا آخر من سيجارتها ، فاستدرك في صرامة :

- ولتن أظفلي هذه السجارة ، فلأنا أكره رائحة التبغ المحترق .

زفرت في عصبية ، ثم أضلت سيجارتها ، قائلة :
- إنك تثير أعصابي بمثائلك هذه .

(*) حقاقة تاريخية

أجابها في حزم :

- ولكن من الواضح أنك تحتاجين إليها هذه المرة .
ازداد اعتقاد حاجبيها ، وبدا لحظة وكأنها ستعلق على عبارته ، إلا أنها لم تلبث أن تابعت حديثها السابق ، وكان حوارهما لم يكن له وجود :

- وعلى امتداد لقرن العشرين ، تضاعف نفوذ (المافيا) وقوتها ، في كل من (إيطاليا) و (أمريكا) ، ونجحت في التغلغل في الأوساط السياسية ، وابتاعت العديد من رجال الشرطة والقضاء ، وأصبح مجرد نكر اسمها يكفي لبث الرعب في القلوب ، والإشارة إلى الثقة الهائلة التي تكن خلفه ..

ثم تهدت في عمق ، وامتدت يدها إلى عنية مجالرها ، ثم تراجعت قبل أن تبلغها ، ونفثت الهواء بدلا من الدخان ، ثم واصلت :

- وفي منتصف السبعينات ، قرّرت (المافيا) أن تنتهج نهجا جديدا ، اجتمع من أجله زعماء العائلات (*) ، من كل الولايات الأمريكية ، ثم قرّروا

(*) رجال (المافيا) يطلقون على منظمهم اسم (العائلة) .
نظرا لأنها تتكون من عدة عائلات صقلية . ذات جذور معروفة ومتراصة .

القيام بعملية غسل للأموال القذرة (*) . وبدعوا في استثمار أموالهم في بناء الفنادق ، والمطاعم الفاخرة ، والنوادي ، وشركات إنتاج السينمائي ، وغيرها من المشروعات الكبيرة ، التي صارت مع مرور الوقت ، تدر أرباحاً هائلة ، قبل عليها يوماً أنها تمثل ثلث عوائد أرباح الاستثمارات ، في الولايات المتحدة الأمريكية كلها (*) .

انقسم (أدم) في مخيرة ، وهو يقول :

- وعلى الرغم من هذا ، لم تتوقف (المافيا) عن أعمالها الإجرامية أبداً .

أجابته في عصبية :

- فيما يخدم أعمالها فحسب .

رفع حاجبيه في دهشة مصطنعة ، وهو يواصل مخيرته ، قائلاً :

- آه .. فهمت .. إذن فأنتم تلجئون إلى الأعمال غير المشروعة ، لحماية الأعمال المشروعة ! .. ياله من ملطق طريف :

(*) غسل الأموال القذرة : مصطلح يستخدم للتعبير عن عملية استثمار الأرباح غير المشروعة ، في أعمال قانونية مشروعة ، بحيث تنفي سلطة الشرطة بالتنسبة لها تماماً ، وتدار بأساليب رسمية للذات .
(**) مثبقة .

تفتت في عصبية :

- أرجوك يا (أدم) .. الموقف لا يحتمل مخيرتك هذه .

بدت عليه دهشة حقيقية هذه المرة ، وهو يسألها :

- دونا .. ماذا هناك ؟ .. إنني لم أرك قط بهذه الصورة .

خيل إليه أن عينيها ترقرقاً بالدموع ، وهي

تجيب :

- الموقف خطير يا (أدم) .. خطر للغاية .

تطلع إليها لحظة في صمت حائر ، ثم سألها في جنية وإهتمام :

- هم تعالين يا دونا .. أخبريني كل ما لديك .

ارتجفت شفتاهما ، وهي تقول :

- لم يعد الحال كما كان يا (أدم) .. البعض لم يعد يكتفى بالمليارات التي تربحها لمنظمة كل عام ، ويطلب بالعودة لمزاولة الأنشطة القديمة ، من قمار وتهريب مخدرات وفساد ؛ لأن هذه الأنشطة تدر عشرة أضعاف ما تدره المشاريع الاستثمارية الشرعية .

قال (أدم) ، وهو يطلع إلى عينيها الدامعتين :

- إنه خلاف على مبادئ المنظمة إذن .

هزّت رأسها نفياً ، وقالت :

- لم يعد الأمر يقتصر على مجرد خلاف مبادئ
يا (أدم) .. لقد تجاوز هذا إلى مرحلة أكثر خطورة .
وعانت شفتاها ترتجفان فسى عطف ، مع
استطراستها :

- مرحلة تصفية جسدية .

اتعقد حاجباه في شدة ، وهو يقول :

- وهل بدأ هذا بالفعل ؟

أومأت برأسها إيجاباً ، وأجابت :

- نعم .. منذ ثلاثة أيام ، اغتالوا دون (بونتي) .

وأمن الأول تم اغتيال دون (بكتولا) ، وأمن لقي
دون (جيترو) مصرعه بطريقة بشعة ، فلم يبق منه
ما يكفي لملء قذح صغير .

سألها في توتر :

- ومن تلك السفاح ، الذي يريق نهر الدم هذا ؟

أجابته قليلة :

- دون (أبرو ميديتشي) .. رب عائلة (نيويورك) ..

إنه يترغم المطالبين بالعودة إلى التشدّات القديمة ، في
حين أنزعج أنا جهة الراغبين في مواصلة العمل
للشرعى ، ومن الواضح أن دون (ميديتشي) قد قرّر

تصفية المعارضين ، قبل الاجتماع التالى للمنظمة ، في
بداية الشهر القادم .

قال في اهتمام :

- بداية الشهر القادم ١٢ .. هذا يعنى أسبوعاً واحداً
من الآن .

أجابته ، وقد استعادت شيئاً من حزمها :

- بالضبط .. ففي هذا الاجتماع سيتم الاقتراع على
مطلب العودة للسياسات القديمة ، و (ميديتشي) يعلم
أن قوانين العائلة تحتم الموافقة بالإجماع ، على أى
قرار يحدث تعديلات فى المسار ، وهو يسعى لتصفية
الأصوات الكبيرة لمعارضيه ، كمحاولة لإرهاب الياقين ،
وفرض السياسة القديمة .

سألها (أدم) :

- وكيف تبقى من المعارضين ؟

بدأ عليها الحلق لحظات ، قبل أن تجيب :

- كان هناك معارضون آخرون ، ولكنهم تراجعوا
جميعاً ، بعد أن وصلتهم رسالة (ميديتشي) غير
المباشرة ، ولم يعد هناك سوى صوت معارض واحد .

ورفعت رأسها فى حزم ، مستطردة :

- أنا .

أوما (أدهم) برأسه متفهماً ، وهو يقول :

- آه .. فهمت لماذا لجأت إلي يا دونا .

أجابته في عصبية :

- كلا .. أنت لم تفهم شيئاً بعد .. لست أحتاج إليك

لحمائتي من دون (ميديتشي) ، لقدى طاقم ممتاز ،

ولقد اتخذنا كل الاحتياطات اللازمة لعدم اختراق نطاقنا

الأمنى .

سألها في ضيق :

- ماذا تريد مني إذن ؟

أدارت عينيها إليه ، وتطلعت إلى عينيها مباشرة

تنصف دقيقة ، حين أن تجيب :

- أريد أن تساعدني على تدمير دون (ألبرتو

ميديتشي) .

التفت حاجبها في شدة هذه المرة ، ولاذ بالصمت

بضع لحظات ، قبل أن يجيب في حزم وصرامة ، امتزجا

برنة غضب واضحة :

- أخطأت العنوان يا دونا .. كان الأجدر أن تستعيني

بواحد من قتلتك المحترفين .

أجابته في حدة :

- دون (ميديتشي) يعرفهم جميعاً .

ثم إنخفض صرختها ، مع استطرادتها :

- ثم إنني لا أسعى لقتل دون (ميديتشي) .. إنني

أرغب في تحطيمه فحسب ، بحيث لا تعود كلمته

سموعة في مجلس العائلة ، ويفقد رهيقه ومصاديقته

تماماً .. فلو أنني فعلته ، سيعنى هذا أنني ، وعلى الرغم

من رفض العودة إلى الأساليب القبيحة ، أسبل إلى

تطبيقها مع المعارضين ، وهذا سيفقدني مصداقيتي

بذوري ، ولا تعود لزعامتي قيمة .

ردد (أدهم) بابتسامة هادئة :

- زعامتك !

التفت حاجبها في صرامة عجيبة ، لا تتناسب قط

مع ضعفها ودموعها ، منذ دقائق مضت ، وقالت في

حزم :

- بالتأكيد .. أنت تعلم أنه لم يكن من السهل على

الكبار ، في (إيطاليا) وهذا ، أن يتقبلوا فكرة صعودي

إلى زعامة المنظمة ، باعتبار أنني امرأة ، وطبيعته

الصقلية تؤمن بأن المكان الوحيد للمرأة هو المنزل .

لرعايته وتربية الأطفال ، الذين تتجهبهم من صغتي ضحك

الجنة . اعتاد إطلاق الرصاص بيمينه ، ومسح شعر

لرأسه في رفق بيساره ، مون أن يطرף له رمش ..

ولقد بذلت جهداً هائلاً ، لأثبت للجميع أنني أستحق موقعي هذا ، ولكن هذا لا يمنع أنهم ينتظرون وقوعي في خطأ واحد ، حتى يطالبوا بعزلي ، وانتخاب زعيم آخر بدلاً مني ، يرضى غرورهم كرجال .

شعر (أدهم) في أعماقه بشيء من الإعجاب حيالها ، فراجع في مقعده بهدوء ، وسألها :

— ماذا تريد مني بالتحديد يا دونا ؟

أجابته في اهتمام :

— أريد منك أن تتسأل إلى عائلة دون (ميديتشي) ،

وتخترق نظامهم الأمني ، الذي عجزنا نحن عن اختراقه ، حتى تحصل على دليل يدينه بأية تهمة ، أو يثبت تورطه في عمليات تهريب المخدرات أو تجارة السلاح ، التي انفرد بها ، دون باقي العائلات .. باختصار .. أريد أن يقع في قبضة الشرطة ، مع دليل دامع ، لا يسمح لهم بمحabbاته ، أو معاونته على الإفلات من العقاب .

صمت (أدهم) لحظات ، وعائنه يدير الأمر في رأسه جيداً ، قبل أن يجيب في هدوء :

— ولماذا أعمل هذا ؟

قالت في حدة :

— لقد تعاونت معك من قبل .. هل نسيت أنني أتقنت

صديقك من ذلك الجزار البشع في (روما) ؟ (*)

هز كتفيه ، قائلاً :

— أعترف أنك فعلت هذا ، ولكن هذا لا يعني أن

أعمل لحسابك في المقابل .

قالت في عصبية شديدة :

— ولكنك بتحطيم دون (ميديتشي) تطبق مبادئك

أيضاً .. إننا بتدميره نمنع انتشار الفساد والمخدرات

والـ ..

قاطعها في حزم :

— هذا ليس من شأنى يا دونا ، فأنا رجل مخبرات

مصرى كما تعلمين ، وولائى كله لوطنى وحده .

التقطت سيجارة فى حدة ، ودستها بين شففتيها ،

وهي تقول :

— ماذا تريد بالضبط يا (أدهم) ؟

ارتسمت على شففتيه ابتسامة ظافرة ، وهو يجيب :

— نحن نعلم جيداً أن لكم باعاً طويلاً ، فى التعامل

مع (الموساد) ، وسيرضينا كثيراً أن نحصل على

(*) راجع قصة (القضية الخامسة) المغيرة رقم (١٠٠) .



القط المؤلف ، وهو يتسم قتلًا في لغة :

— أسبوع قوة كالية ..

نسخة من كل ملفات تعاليمكم معه ، طوال السنوات الماضية .. انني أعرض نسخة كاملة بالطبع .

التعبء حاجباها في شدة ، وراحت تتركس الأمر في عقلها طويلا ، دون أن تشغل سيجارتها ، ثم قالت :

— ومن يضمن لي موافقة رؤسالك بعد هذا ؟

هز كتفيه في هدوء ، مجيبا :

— المفروض أنني في إجازة لمدة أسبوعين ، ولن

يضيرني أن أمارس بعض النشاط .

ثم رفع أحد حاجبيه ، مضيفا بلهجة ذات مغزى :

— على مسئوليتي الخاصة .

فهمت ما يعنيه على الفور ، فقلبت قدامتها بين

أصابعها لحظات ، ثم أجابته في حزم :

— اتفقا .

ثم التفتت من جوارها ملفا كبيرا ، تاولته إياه ،

قائلة :

— ستجد هنا كل المعلومات اللازمة عن دون

(ألبرتو ميديتشي) . ولكن تذكر .. أمانا أسبوع واحد

فحسب .

التقط الملف ، وهو يتسم قاتلا في ثقة :

— أسبوع فترة كافية ، ليحدث فيها الكثير يا عزيزتي

دونا .

٣- الوسيلة ..

عقد مدير المخابرات العامة المصرية حاجبيه في
توتر بالغ ، وهو يطالع البرقية المشفرة ، التي أرسلها
(أدهم) من (نيويورك) ، ثم التفت إلى مساعديه ،
قائلًا :

- هذا الأمر لا يروق لي أبدًا .

أجاب أحدهم مساعديه :

- أنت على حق يا سيدي ، فهذه العملية لا تتناسب
مع عمل جهاز مخابرات ، وسيادة العيب (أدهم
صبري) يدرك هذا جيدًا ، وإلا ما أرسل البرقية ، فهو
يعرض الأمر . ويشير إلى ما يمكن أن تربيحه المخابرات
المصرية ، من الحصول على كل الوثائق الخاصة
بتعاون (الموساد) مع (المافيا) ، ثم يؤكد في الوقت
ذاته أنه سيقوم بالمهمة على مسئوليته الخاصة .
ويمكننا أن نذكر أية صلة لنا بها ، لو حدث ما يسره ..
هز المدير رأسه نفيًا في صرامة ، وهو يقول :

- ليس هذا أسلوبنا .. إننا لا نتخلي عن رجالنا قط ،
ولا نميل للعمل مع أية منظمات إجرامية .
تلتحج أحدهم مساعديه ، قبل أن يقول :

وكان على حق تمامًا في عبارته هذه ، ففي
الأسبوع القادم سيحدث الكثير .
والكثير جدًا .

* * *



- معذرة يا سيدي . ولكن الفضل ما في نظمنا هو أنها مرنة ، ويمكننا أن نتكيف بسرعة مع تغير الظروف والأساليب ، والعبرة في النهاية بما يمكن أن نحققه ، وما يمكننا أن نفعله للوطن ، مهما كانت التضحيات ، وفي هذه المهمة لن ينضم سيادة العميد (آدم) لمسانيات (المافيا) ، ولن يقدم على أي تصرف إجرامي ، أو حتى يساعد على القيام به .. بل على العكس .. إنه يسعى لمنع أحد زعماء (المافيا) من العودة إلى النشاطات الإجرامية غير المشروعة ، والتي تعلم أننا أن أثارها لن تقتصر على الولايات المتحدة الأمريكية ، بل ستمتد حتماً إلى أجزاء أخرى من العالم ، بما فيها (مصر) نفسها .

تدخل مساعد آخر ، قائلاً :

- هذا يعني أن مهمة (ن - ١) مشروعة يا سيدي ، فهو يسعى لمنع الخطر قبل حدوثه .
اندفع المساعد الأول يضيف :

- وسيحصل لنا أيضاً على وثائق باللغة الأرمينية والخطورة . ومن المؤكد أننا ستربح الكثير ، والتشهير جداً ، من معرفة تفاصيل وأساليب التعاون ، بين منظمة مثل (المافيا) ، وجهاز (الموساد) الإسرائيلي .

عاد المدير يعتمد حاجبيه في شدة بعض الوقت ، وهو يدرس الموقف جيداً ، قبل أن يتطالع إلى مساعديه ، قائلاً في حمم :

- فليكن .. أبلغه أن يقوم بالمهمة ، على بركة الله .

وكانت هذه هي البداية الحقيقية ..

* * *

مطردون (البرتو ميديتشي) شفتيه ، وهو يطالع جريدة الصباح ، في أثناء تناوله طعام الإفطار . وأشار بطرف السكين إلى غير لي صدر الصفحة الأولى ، قائلاً :

- ما زالوا يهتمون بمصرع (جيتسرو) ..
يا للسخفة ! - هؤلاء القوم يعيشون راحة الهم ، ويميلون إلى أخبار القتل والتدمير .

عقد محاميه (جون برنارد) حاجبيه ، نون أن ينس بيت شفة ، في حين أطلق رجل نحيل طويل ، ذو عينيّن نصف جاحظتين ضحكة ساخرة ، ورفع أصابعه إلى لفه ، والتقط نفساً عميقاً ، قبل أن يهتف في نهجة مسرحية هزلية :

- ومن ذا الذي لا يعشق راحة الدم يا دون (ميديتشي) ؟

ابتسم (ميديتشى) : وهو يلوك قطعة من الخبز فى فمه ، وقال :

- من المؤكد أنك استثناء يا (آرتى) ، فعشقتك للدلم فوق شهية نمر جريح ، ولكنك أسرفت كثيرا فى تنفيذ عملية دون (جيتزو) .. إنهم لم يعثروا على بقايا له صالحة للفحص .

قهقهه (آرتى) مرة أخرى ، وقال فى جدل :
- إنها أعظم عملياتي يا دون ، فأننا أحشيت تنفيذ كل مهمة بفن خالص .

رمقه المحامى بنظرة عصبية ، قبل أن يقول :
- أى فن هذا يا (آرتى) ؟ .. إنك مجرد قاتل محترف .

لوح (آرتى) بأصابعه ، قائلا بأهتامة عجيبة :
- بالتأكيد يا مستر (برنارد) .. أنا قاتل محترف ، ولكننى قاتل من طراز خاص .. قتل قنان .. كل عملية عندى لها طابع خاص ، وكل لمسة ...
قاطعه (برنارد) مشمئزاً :
- لمسة !!

قهقهه (آرتى) ضاحكا ، وقال :

- نعم .. لمسة محرية ، تنتزع الحياة من أعناق البشر بأسرع الوسائل ، وأكثرها أناقة وحادثة .

مط (ميديتشى) شفتيه ، وقال ملوفا بالشوكة :
- كفى يا (آرتى) .. إنك تكسب شهيتى .
لم يكذب عذريته ، حتى تقدم منه أحد رجاله ، وقدم له بطاقة صغيرة ، وهو يقول :

- معذرة يا دون (ميديتشى) ، ولكن هذا الرجل يطلب مقابلتك ، ويلج فى ذلك إلحاحا مسموحا .. هل تسمح له بالدخول ، أم تطرده فى عنق ؟

عقد (ميديتشى) حاجبيه ، دون أن يمد يده لالتقاط البطاقة ، فتناولها محاميه بسبائته وبهامه ، وقرأ المدون عليها ، قائلا بصوت مرتفع :

- (بن هو راشيو) .. حراسات خاصة للعظماء ورجال الأعمال .

توقف (ميديتشى) عن تناول طعامه ، وبدت الدهشة عليه ، وهو يقول :

- حراسات خاصة ؟! .. وماذا يريد منى (هوراشيو) هذا ؟

ابتسم (آرتى) فى سخرية ، وقال :
- ربما يعرض عليك خدماته يا دون .

أزدد انعقاد حاجبي (ميديتشي) ، واستغرق في التفكير لحظة ، قبل أن يبتسم قائلا :

- وماذا يضربنا من بعض المرح في الصباح ؟

ثم أثنى إلى (آرتي) بيده ، مستطردا :

- أحضره يا (آرتي) ، ولكن يعد أن تمر به على عن وسائل الأمن لدينا .. تريد أن نلقه درسا في فن الحراسات الخاصة ، قبل أن يصل إلى هنا .

ابتسم (آرتي) - ونوح بيده ، قائلا :

- بالطبع يا دون .. بالطبع .

قالها (آرتي) ، واتجه في خطوات واسعة نشريطة إلى بوابة القصر ، عبر الحديقة الواسعة ، وهناك وقع بصره على (أدهم) ، الذي يقف إلى جوار طاقم حراسة البوابة في هدوء ، في معطف أبيض ، يطل من وجهته رباط علق زاهي الألوان .

كانت ملحمه مختلفة تماما ، مع تكرره المعن ، الذي جعله أزرق العينين ، كث الشارب ، له شعر كستنائي يعيل إلى الشقرة ، بحيث بدا أشبه بالأمريكيين الذين ينتمون إلى أصول أوروبية ، وظل محتفظا بالقسامة هادئة ، استقرت (آرتي) ، وجهته يسأله في خشونة .

- كيف تجرؤ على طلب مقابلة دون (ميديتشي)

يرجل ؟

هز (أدهم) كتفيه في هدوء ، وهو يقول :

- وماذا في هذا ؟ .. إثنى أسعى لإثبات ضعف كفاءة

رجاله .

انعقد حاجبا (آرتي) في شدة ، وهو يقول في

غضب :

- وتظن أنك قادر على هذا .. أليس كذلك ؟

ابتسم (أدهم) في ثقة ، مجيبا :

- بالتأكيد .

اشتعل الغضب أكثر في وجه (آرتي) ، والدفع فجأة

نحو (أدهم) ، وجذبه من ياقة معطفه في عنف ، صانعا :

- حسن .. دعنا نرى كيف تفعل هذا أيها المتبجح ؟

وأشار إلى طاقم الحراسة ، فانسحبوا على

(أدهم) ، وراحوا يقتشونه في غلظة واضحة ، ودقة

بالغة ، حتى يتأكدوا من أنه لا يحمل أية أسلحة ، ثم

اقتادوه إلى توك صغير ، في ركن الحديقة ، وهناك

فحصوه بالأشعة السينية ، وكاشف الأسلحة ، والترددات

فوق الصوتية ، وبعدما تم يعد لديهم أدنى شك في أنه

أعزل تماما ، فقال له (آرتي) في خشونة :

- ما رأيك في وسائل أمننا الآن يا صاح ؟

إيكم (أدهم) في سرية ، قاتلاً :

- طريقة للغة !

لم يكن (آرتي) يريد مثل هذا الجواب ، الذي يحمل رنة استهتار واضحة ، فانتزع مسدسه ، وأصغره بجبهة (أدهم) ، قائلاً :

- ما الذي يمنعني من قتلك الآن ؟

ثم تبدى على (أدهم) بادرة خوف واحدة ، وإنما حافظ على ابتسامته الساخرة ، وهو يجيبه :

- أن نون (ميديتشي) ينتظرني .

كان الجواب بسيطاً مباشراً ، حتى أن (آرتي) ازداد غضباً ، وقال في حدة :

- فليكن .. دعنا نذهب إليه يا هذا ، وبعد أن ينتهي منك ، سترى كيف يتعامل (آرتي) مع من يسخرون منه .

هز (أدهم) تنقيته لا مبالياً ، واتجه معه في هدوء إلى حيث يجلس دنن (ميديتشي) ، الذي استقبله بنظرة باردة خاوية ، وأشار إلى الخدم لرفع مائدة الإفطار ، ثم أشعل سيجاراً طويلاً ، وهو يقول :

- لماذا طلبت مقابلتي يا مستر (هوراشيو) ؟

أجابه (أدهم) بسرعة :

- أعتقد أن بطاقتي تحمل الجواب يا نون ، فأتنا

صاحب مكتب للحراسات الخاصة ، وحمائية رجال الأعمال والشخصيات الهامة ، ولما كنت حديث العهد بالعمل لحسابي ، فقد رأيت أن أعرض عليك خدماتي ، ومن يدري .. ربما أكنسى إقتاعك بإسناد مهمة حمايتك الشخصية لي *

حتى (ميديتشي) في وجهه لحظة في دهشة ، ثم لم يلبث أن انفجر ضاحكاً ، وانفجر معه كل رجاله ، فيما عد المحامي (برنارد) ، الذي عقد حاجبيه في شدة ، وراح يتطلع إلى وجه (أدهم) في اهتمام شديد ، ويتفرس ملامحه جيداً ، وظل هذا الأخير مائلاً مبتكماً ، حتى انتهت موجة الضحك الهستيرية ، وقال (ميديتشي) :

- ألم تجد سوى لتعرض عليه خدماتك يا مستر

(هوراشيو) ؟

أجابه (أدهم) في هدوء :

- بل يا نون ، وأعتقد أنني كنت على حق تماماً ،

عندما فكرت في هذا ، فبعد كل ما رأيته هنا ، تأكدت من أنك بحاجة إلى حماية حقيقية .

مرة أخرى ، انفجر الجميع في موجة ضحك جديدة . ثم ألقى (آرسي) ممدسه بصدغ (أدهم) .
هاتفا في سخرية :

— هل أتعرف رأسه يا دون ؟

أشار إليه (ميديتشي) بأصابعه ، قائلا :

— انظر قليلا يا (آرسي) .. دعه يشرح لنا أولا

أوجه القصور في نظامنا الأمني النقيق .

أجابته (أدهم) في بساطة :

— الأمر بسيط للغاية يا دون ، فلدنكم بالفعل ثغرة

ضخمة من نظامكم الأمني .

سأله المحامي هذه المرة ، وفي جدية بالغة :

— وما هي ؟

فجأة ، انحنى (أدهم) في خفة ، وتحركت قبضته

لكلوي على فك (آرسي) كالقنبلة ، ثم وثبت قدمه تركل

مسدس هذا الأخير ، وقبل أن يستوعب أحد رجال

(ميديتشي) هذه المفاجأة ، كان (أدهم) قد انقض

مسدس (آرسي) في الهواء ، ثم قفز يحيط عنق

(ميديتشي) بساعده القوي . وهو يلصق فوهة

المسدس بمؤخرة عنقه ، ويجذب إبرته ، قائلا :

— أرايت يا دون (ميديتشي) ؟ .. لو أنسى اتكاري
مكثت نيمه قتلك ، لكنك الآن جثة هامدة باللعن .

امتقع وجه (ميديتشي) في شدة ، وصرخ
(آرسي) في غيظ :

— اللعنة !

في حين تحرك المحامي حركة عنيفة ، جعلت

مقدمه يزلق بعيدا ، وقدميه تضربان الهواء ، واستل

الرجال أسلحتهم ، ولكن (أدهم) أضاف بسرعة ،

بلهجة امرأة صارمة :

— مر رجالك بالقاء أسلحتهم يا دون .

صاح (ميديتشي) في سرعة :

— أنقوا أنفسكم .

تردد الرجال لحظة ، ثم أنقوا أسلحتهم في حلق ،

فابتسم (أدهم) في سخرية ، وأزاح فوهة المسدس

بعيدا ، وهو يحل ساعده عن عنق الرجل ، قائلا :

— أرايت يا دون ؟ .. لم يكن هذا عسيرا .

ولثائية أو ثائيتين ، بدا دون (ميديتشي) غاضبا

ساخطا ، ولكنه لم يلبث أن انفجر فجأة مقهقها ، وصاح

مؤخا يذراعيه كالأطفال :

— رابع .. لقد فعلها .

ثم استدار إلى (أدم) . وثبت على يده في حرارة ،
مستنكراً :

- أملكك يا رجل .. لقد نجحت في إيهاري .

هتف المحامي في دهشة مستنكرة :

- دون (ميديتشي) ؟

أما (آرتي) ، فصاح في غضب :

- ماذا تقول يا سيدي ؟

أجاب (ميديتشي) في صرامة :

- أقول : إن هذا الرجل كشف بالفعل أحد أوجه

القصور في نظامنا الأمني ، فلقد فُتسّموه جيداً ، ونم

تغثروا معه على أية أسلحة ، ولكن هذا لم يمنعه من

السيطرة على الموقف كله .

هتف (آرتي) محققاً :

- إيه محتل يا دون .. أنت الذي وافقت على

مقابلته .

أجاب (آدم) في حزم :

- ولكنه لم يطلب منك أن توقفي على مسافة متر

واحد منه ، ولم يأمرك بتصويب مسدسك إلى ، من هذه

المسافة القريبة ، التي سمحت لي باختطافه .. ماذا كنت

ستفعل ، لو أنني أحد خبراء الكارتيه أو التايكوندو ،

من يستطيع قبضتهم شج رأس دون (ميديتشي)

بضربة واحدة ؟



وأزاح فوهة المسدس بعيداً ، وهو يحمل ماعده عن عنق الرجل ..

أحقن وجهه (أدنى) فى ثبده . فصاح به
(ميديتشى) :

— نعم .. ماذا كنت ستفعل ؟

أزاد انعطاف حاجبى المحاسى . واسترجع الشك
بالتقى والحذر فى ملامحه ، وهو يتطلع إلى (أدهم) ،
الذى قال فى بساطة ، وهو يضع مبدسه فى قبضة
(ميديتشى) :

— كان المفروض أن يقف أحد الرجال الأثداء بينى
وبين دون . وأن ألق على مسافة لا تقل عن ثلاثة
أمتار منه . فى حين يصوب إلى الرجال أسلحتهم من
بعيد . ومن زوايا مختلفة ، و ...

قاصعه دون (ميديتشى) فى صرامة :

— مهلاً يا رجل .. لقد قلت : إنك نجحت فى إبهارى ،
وليس فى إقصاءى .

سأله (أدهم) فى سرعة :

— ماذا تعنى يا دون ؟

أجابته الرجل فى صرامة :

— أعنى أنه بإمكانك أن تبهرنى بمهارتك وذكاك .

ولكن من العسير جداً أن تقتضى بقدرتك على حمايتى .

بأفضل مما يفعل رجالى .. صحيح أنك كشفت لنا عيباً
خطيراً فى نظامنا الأمنى . ولكن هذا لا يعنى أنك
الأفضل .. لن نكرر هذا الخطأ ثانية . وسند الثغرة فى
نظم الأمن ، ولكننا لن نمنحك ثقتنا بسهولة .

قال (أدهم) فى هدوء مستفز :

— كان بإمكانى قتلك منذ لحظة واحدة يا دون . لو
أن هذا غرضى .

أجابته (ميديتشى) ، وهو يشير بيده فى حزم :

— ضربة حظ يا رجل ، ولن نكرر ثانية أبداً .

قال (أدهم) فى سرعة :

— هل تراهن ؟

ارتفع حاجب (ميديتشى) فى دغلة ، وهو يهتف :

— أراهن ؟

لوح (أدهم) بسبائته ، قائلاً :

— نعم يا دون (ميديتشى) .. إتلى أراهنك على

استطاعنى اشتراق جهازك الأمنى مرة أخرى ،

والتوصل إليك أينما كنت ، داخل قصرك المنيع هذا ،

وعلى الرغم من بنية احتياطات تتخذها .

كان تحدياً استفزازياً بالتفعل ، حتى أن (ميديتشى)

ورجائه حققوا فى وجه (أدهم) بدعشة غير مصدقة ،

فى حين عبا (برنارد) من مقعده فى توتر ، هاتفاً :

- حذار يا دون .. هذا الرجل يستدرجك إنني أمرنا .

أشار إليه (ميديتشي) في صرامة ، قائلاً :

- اصمت يا (برنارد) .

ثم نهض يواجه (أدوم) ، مستطرداً :

- إنني أقيم الزمان .

ارتفع حاجبنا (آرتي) في دهشة ، لم تلبث أن

تحولت إلى غضب هادر ، وهو يهتف :

- ماذا تقول يا دون ؟

صاح به (ميديتشي) في صرامة :

- ما سمعته يا (آرتي) .. إنني أتحدى هذا الرجل ،

وأضايه بإثبات أنه كفاء لعمري .

هتف المحامي معترضاً :

- نست أوافق على هذا قط يا دون .

صرخ (ميديتشي) في وجهه :

- ومن ظن رأيك أو موافقتك يا رجل ؟ .. إنه أمر

يخصني وحدي ، وأنا صاحب القرار فيه .

تراجع المحامي محققاً ، ورمى (أدوم) بنظرة

غاضبة ، شاركه فيها (آرتي) ، الذي يتميز غيظاً ، في

حين بدا (أدوم) هادئاً مبسمًا ، و (ميديتشي) يستطرد

في حزم وصرامة :

- قبلت رهاتك يا مستر (هوراشيو) .. سأشرف

بنفسي الليلة على كافة إجراءات ونظم لأمن ، وعليك

أن تثبت جدارتك قيس منتصف الليل ، ولو فعلت ،

سأعاقبك معك لحمايتي ، وسأجعلك حارس الخاص .

هتف (آرتي) في دعر مستلكر :

- دون (ميديتشي) ؟

ولكن الرجل أشار إليه في صرامة ، وهو يتابع :

- أما لو فشلنا ، فلن تجد بقعة واحدة في الأرض

كلها ، تصلح للاختباء مني .. سأعثر عليك أينما كنت ،

...

بقر عبارته ، وهو يشير بسبائته إلى عنقه ، في

حركة واضحة المعنى والمغزى ، ولكن ابتسامة (أدوم)

له تتلأح ..

لقد كان يدرك أنه دس كفه بإرائه في حجر

التعبان ، وأن عليه أن يتحمل النتائج ..

كل النتائج .

* * *

٤- نظم الأمن ..

« أنت مجنون حتما ..! »

صرخت دونا (كارولينا) بالعبارة ، فى دهشة
تسترج بالحقق ، فى وجه (أدم) ، الذى ظنّ هادئا
مبتسما ، يتطلع إليها فى صمت ، وهى تستطرد محتدة :
- كيف تتحدى دون (ميديتشى) على هذا النحو ؟!..
إنك لن تتجح فى الوصول إليه مرة ثانية قط ، ومن
حسن حظك أنه لم يقتلك فى المرة الأولى ، ولو أننى فى
مكانه لفعلت .

قال (أدم) فى هدوء :

- خطأ يا دونا .. دون (ميديتشى) ما كان ليقتلنى
قط ، بعد ما فعلته معه ، فكل تصرفاته السابقة ، طوال
عمره ، تشير إلى أنه مقامر من الطراز الأول ، ثم إنه
ينبهر حقا بأصحاب المواهب الخاصة ، وربما كان هذا
سر ارتباطه بذلك القاتل الدموى (آرتى) ، ولقد أثرت
فى أعماقه شهوتى المغامرة والمقامرة ، وفضول
الرغبة فى سبر أغوارى ، وكشف قدراتى الحقيقية .
هتفت محنقة :

- وتبعب حقيقتك أيضا .. لقد أعطيتك اسما وعنوانا ،

فهل تظن أنه سيكتفى ببطاقتك ، ويتعامل مع بياناتها
باعتبارها حقائق مجردة ؟!
أجابها بسرعة :

- مطلقا .. إنه سيرسل رجاله خلفى حتما ،
وسيحاول جمع أكبر قدر من المعلومات عن (بل
هوراشيو) .

حدقت فيه بدهشة مستنكرة ، قبل أن تهتف :

- ألا يملك هذا ؟

هز رأسه نفيا فى هدوء ، ولم تفارقه ابتسامته ،

وهو يجيب :

- مطلقا .

ثم اعتدل مستطردا فى اهتمام :

- المهم الآن أن نناقش الخطوة التالية ، بعد وصولى
لحجرة (ميديتشى) ، وإقناعه بإسناد مهمة حمايته
الشخصية لى .

لوحّت بيدها ، قائلة :

- مهلا .. إنك تتجاوز أخطر نقطة فى الأمر كله ،
وكأنها قضية مستم بها .. كيف يمكنك الوصول إلى
(ميديتشى) ، على الرغم من سياج الأمن حوله ، ومن
الترتيبات الإضافية ، التى ستتخذ حتما ، بعد تحديث له .

استرخى فى مقعده ، وأجابها فى هدوء مستفز :
- لا يوجد جهاز أمنى خال تماما من الثغرات ،
مهما بلغت دقته .

قالت فى عصبية :

- هذا صحيح نظريًا ، ولكننا درسنا نطاق الأمن
المضروب حول قصر (ميديتشى) ألف مرة ، طوال
الأسبوع الماضى ، وأيقنا من أن اختراقه مستحيل
تمامًا .. إنه لا يقتصر على الأسوار العالية المكهربة ،
وكلاب الحراسة المتوحشة ، وجيش رجال الحراسة
المحيط به ، ولكنه أيضًا يستخدم رادارًا لحماية مجاله
الجوى ، وأجهزة فحص حرارى للمنطقة المحيطة
بالقصر ، وآلات تصوير منتشرة فى كل مكان ..
باختصار .. لا يمكن حتى للتملة اختراق نظم حراسته
وأمنه .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

- أحيانًا ينجح القليل فيما تفشل فيه التملة .

اتعقد حاجباها الجميلان ، وهى تسأله :

- ما الذى تعنيه بهذا ؟

اتسعت ابتسامته ، وهو يقول :

- مستعرفين كل شىء فى موعده يا دونًا .. فى
موعده تمامًا .

وفى هذه المرة ، بدت لها ابتسامته شديدة الثقة ..
وشديدة الغموض ..

* * *

ألقى (برنارد) نظرة متوترة على ساعة يده ، قبل
أن يزغر فى توتر ، قليلًا :
- الأمر لا يروق لى أبدًا يا دون .. أنت تجازف
بلامبرر .

ابتسم (ميديتشى) فى جدل ، وهو يسترخى فوق
مقعد الوثير ، خلف مكتبه الضخم ، ويقول فى نشوة
عجبية :

- وما وجه المجازفة يا عزيزى (برنارد) ؟ .. كل
ما فى الأمر أننى تحديت شخصًا ما أن ينجح فى تجاوز
كل نظم الأمن ، والوصول إلى مباشرة ، ونجح فى
هذا فسيعى الأمر أنه توجد ثغرة فى نظامنا الأمنى
بالفعل ، أما لو فشل ، فلن نخسر شيئًا .

لوح المحامى بيده ، قليلًا :

- ولكنك تجهل تمامًا هوية هذا الشخص يا دون ،
ولا يمكنك الاعتماد على بيانات بطاقة ، قدمها لك
بنفسه .

أجاب (ميديتشى) فى ثقة :

- ومن قال إنني فعلت ؟

وجذب ملفاً من أمامه ، مستطرداً :

- مشكلتك أنك تفكر وتتعامل كمحام راق

يا (برنارد) ، وتتصور أن الجميع ينتهجون النهج

نفسه في تعاملاتهم . ولكن الحقيقة أنك غير ساذج .

هتف المحامي مستنكراً :

- أنا ؟!.. أنا غير ساذج يا دون ؟!.. قل لي إذن

كيف أربح كل قضاياك الشائكة ، على الرغم من سيل

الأدلة ، الذي يتركه رجالك خلفهم ؟!.. ألا تعلم أنهم

يطلقون على اسم ثعلب المحاماة ؟!

أطلق (ميديتشي) ضحكة ساخرة ، قبل أن يقول :

- ربما يكون هذا صحيحاً بالنسبة لساحات القضاء

يا (برنارد) ، ولكنك تفكر إلى الخيرة اللازمة للعمل

في ساحتنا نحن .

اتعقد حاجباً المحامي في غضب ، ولكن

(ميديتشي) فتح الملف ، وقرأ بصوت مسموع :

- الاسم (ويليام كلاوس هوراشيو) .. أربعون

عاماً .. مهاجر يوغسلافي ، حصل على شهادة من

مراكز التدريب الأمني ، تتيح له ممارسة مهنة المخبر

الخاص ، والقيام بالحراسات المتميزة .. أعزب ..

لا يدخن السجائر أو يشرب الخمر .

ثم رفع عينيه إلى المحامي ، مستطرداً في

سخرية :

- هل تحب أن أخبرك برقم بطاقة التأمين

الاجتماعي ورخصة القيادة ؟

سأله المحامي في توتر :

- من أين حصلت على هذه المعلومات يا دون ؟

لوح (ميديتشي) بالملف ، قائلاً :

(أمريكا) أصبحت تعتمد على شبكات الكمبيوتر

والمعلومات الآن يا رجل ، ومن السهل أن تحصل على

كل ما تريد ، دون أن تغادر مقعدك .. المهم أن تعرف

وسيلة الدخول إلى عالم المعلومات ، وفي هذا

المضمار ، الثقود تفتح كل الأبواب المغلقة يا صاح

ازداد انعقاد حاجبي المحامي ، وكما لم يرق له

ما سمعه ، ثم ألقى نظرة على ساعته ثانية ، قبل أن

يقول :

- فليكن يا دون .. استخدم الوسيلة التي تروق

لك ، ولكن المهم أن تضاعف من حذر رجالك هذه الليلة

بالذات ، حتى لا تخسر رهاتك .

ابتسم (ميديتشي) في ثقة ، قائلاً :

- اضعن يا عزيزي (برنارد) .. (آرتي) ضاعف
الإجراءات ثلاث مرات على الأقل ، فهو غاضب للغاية ،
ويعتبرها مشكلة شخصية ، وسيبذل قصارى جهده ؛
لنمنع (هوراشيو) هذا من الوصول إلى هنا ، حتى ولو
اضطر لنفسه نسفاً .
تطلع إليه المحامي لحظة في توتر قلق ، ثم أوماً
برأسه ، مغفماً :

- فليكن .. إنها الحادية عشرة والنصف الآن ، وما
هي إلا نصف الساعة ، ونعرف بالضبط ما إذا كان
(هوراشيو) هذا عبثياً ، أم أنه مجرد متحذلق كبير .
قللها ولامحها تحمل الكثير من القلق المسترجع
بانثك ..
الشك بلا حدود ..

* * *

«وصلنا إلى الهدف ..»
نطق قائد الطائرة العبارة ، وهو يحثق على ارتفاع
كبير للغاية ، فوق قصر دون (ميديتشي) ، ثم ألقى
نظرة قلقة على (أدهم) ، الذي يثبت مظلته خلف ظهره
في إحكام ، وسأله :
- هل يمكنك حقاً القفز من هذا الارتفاع ؟

سأله (أدهم) في بساطة :

- وما المانع من هذا ؟

أجاب الطيار ، في شيء من العصبية :

- المانع أننا على ارتفاع شاهق ، ولا أحد يمكنه
السيطرة على اتجاهه ، مع هذه المسافة الضخمة .
ابتسم (أدهم) ، وقال وهو يحمل حقيبة صغيرة ،
ويوصلها بمظلة ثانية :

- لا تقلق نفسك بهذا الأمر .. خذ بكرة أخرى ، ثم
افتح باب القفز .

سأله الطيار ، وهو يبدأ دورته الثانية بالفعل :

- هل تعلم أنه هناك راداراً كبيراً ، فوق قصر دون
(ميديتشي) ؟

أوماً (أدهم) برأسه إيجاباً ، وقال :

- نعم .. أعلم .. ولكنه رادار تقليدي ، لن يمكنه
رصد طائرتك . من هذا الارتفاع الكبير .

أجاب الطيار في حدة :

- ولكنه حساس ، للحد الذي يمكنه معه التقاط
عملية ميوطك ، بالمظلة فوق القصر .

ابتسم (أدهم) ، قائلاً :

- أعلم هذا .

هتف الطيار في دهشة :

- تعلم هذا ؟! كيف ستقفز إذن ؟! .. إنهم سيستقبلونك بوابل من الرصاصات ، كليل بتحويلك إلى مصفاة ، قبل أن تلمس قدمك الأرض .

أجابته (أدهم) في هدوء :

- قلت لك : لا تقلق نفسك بالأمر .. والآن .. افتح باب القفز .

نطق العبارة الأخيرة بصوت مرتفع ، ولهجة حاسمة أمرة ، جعلت إصبع الطيار يقفز في آلية إلى زر فتح الباب ، وانبعثت طرقة مكتومة في المنطقة الخلفية من الطائرة ، عندما افتتح الباب ، وهبط الضغط على نحو مباغت ، وأسرع الطيار يضع قناع الأكسجين على أنفه وفمه ، هاتفا :

- حذار أن ..

ولكنه لم يتم عبارته ..

أو بمعنى أدق : لم يجد حاجة لهذا ..

لقد وثب (أدهم) بالفعل ..

وضغط الطيار بسرعة زر إغلاق الباب ، وترك الضغط يتعادل ثانية داخل الطائرة ، وهو يهز رأسه ، مغفما :

- يا له من رجل !

في نفس اللحظة ، كان جسد (أدهم) يخترق الهواء بسرعة مذهشة ، تتناسب مع عجلة الجاذبية الأرضية ، وهو يمك الحقيبة في قوة ..

كان يتشح بالسواء ، من قمة رأسه ، وحتى أخمص قدميه ؛ فقد ارتدى سروالا أسود وسترة سوداء ، وأخفى رأسه كله داخل قناع أسود ، لا يبرز سوى عينيه وطرف أنفه ..

وبعد أقل من ثلاث ثوان ، تجاوز السحب ، واتضح له معالم المدينة ، بأضوائها الكثيرة ، ومال بجسده في مهارة وحكمة ، ليدفعه ضغط الهواء نحو البقعة التي حددها مسبقا ..

نحو قصر دون (ميديشي) ..

وراحت الأمطار تنخفض في سرعة كبيرة ، وجسده يقترب ويقترب من الأرض ..

كان يجازف بشدة ، بعدم فتح مظله ، وهو يقترب على هذا النحو ، ولكنه تجاهل هذا تماما ، وفتح الحقيبة ، وراح يعد ما بها ، وصورة القصر تتضح أكثر وأكثر ..

وداخل القصر نفسه ، وعندما أشارت عقارب الساعة إلى الثانية عشرة إلا تسع دقائق ، قبيل منتصف الليل ، هتف مراقب الرادار فجأة :

- جسم يقترب من أعنى .

قفز (أرئى) إليه ، وحدث فى الشاشة لحظة ، ثم استل مسدسه ، وجذب مشطه فى عصبية ، وهو يقول :
- بمظلة !.. يا للسخافة !.. هذا عمل يخلو من الفن تماما أيها المتحدث .

ثم يكذب يتم عبارته ، حتى دوى انفجار مكتوم فى السماء ، على ارتفاع كبير ، وحدثت شوشرة عنيفة ، أقسدت عمل الرادار تماما ، فصاح (أرئى) :
- يا للوغد !

ثم اندفع إلى الحقيقة ، صارخا :

- استعدوا لاستقبال مظلى معبود .. أمطروه بالرصاصات ، قبل أن يبتلع الأرض .. أريد صريعا ، لاح له الجسم الأسود ، وهو يهبط بمظلة كبيرة ، فى الركن الغربى للقصر ، فأشار إليه ، صائحا :
- ها هو ذا .

كانت هذه الإشارة هى كل ما ينتظره رجاله ، الذين انطلقوا كانوا حوش نحو البقعة ، التى ستهبط فيها المظلة . وارتفعت فوهات مدافعهم الآلية إلى السماء ، وانطلقت الرصاصات فى سماء مدهش ، وبدوى يصم الأذان ، فصرخ (برنارد) فى مكتب (ميديتشى) :

- ماذا حدث ؟.. هل انفتحت أبواب الجحيم ؟

هبة (ميديتشى) من خلف مكتبه ، وهو يهتف فى انفعال :

- الانفجار المكتوم فى السماء ، ثم دوى الرصاصات .. نعم يا رجل .. لن تجد وصفا أفضل من هذا .. لقد انفتحت أبواب الجحيم على مستر (هوراثيو) .

ثم أطلق ضحكة ساخرة ، قبل أن يستطرده .

- من الواضح أننا ربنا الرهان يا رجل .

والتي نظرة على ساعته ، التى أشارت عقاربها إلى الثانية عشرة إلا دقيقة واحدة . واندفع إلى الباب الصغير فى مكتبه ، مضيفا فى جنل :

- أخبرنى يا عزيزى (برنارد) .. ما الذى تفضله ،

للاحتفال بهذا الانحسار .. مارتينى أم فودكا ؟

اقترب (برنارد) من النافذة ، محاولا استشفاف ما يدور فى الخارج ، وهو يغتم فى قلق لم يزايله بعد :

- لم يحن وقت الاحتفال بعد بنا دون .. مازالت أماننا دقيقة كاملة .

قهقه (ميديتشى) ضاحكا فى ظفر ، وقال وهو

يصبب لنفسه كأسا من الفودكا :

- دقيقة واحدة لن تصنع فارقا كبيرا يا عزيزي
(برنارد) .. مادام رجالى قد كشفوا محاولة مستر
(موراشيو) للدخول ، فيمكنك أن تعتبر الأمر منتهيا ،
فلن ..

بتر عبارته بغتة ، عندما أطلق (برنارد) شهقة
عنيفة ، وقفز مبتعدا عن النافذة ، وهو يصرخ :
- يا للشيطان !

وفى اللحظة التالية مباشرة ، اخترق (أدهم)
زجاج النافذة ، وقفز داخل الحجرة . ثم تدهرج بمرونة
مذهلة ، ووثب واقفا على قدميه ، وهو يلصق قوامة
مسدسه بعنق دون (ميديتشى) ، قائلا وهو يجذب
إبرته :

- خسرت يا دون .

امتقع وجه (ميديتشى) ، وسقطت الكأس من يده ،
فتحطمت عند قدميه ، وتناثرت محتوياتها ، و (أدهم)
يقول ساخرا :

- هذا أفضل ، فالخمور ضارة بالصحة .

كان الذهول مرتسما على ملامح (ميديتشى)
بشدة ، وشاركه فيه المحامى ، الذى نهض ينفخ
شظايا الزجاج عن حلقه الفاخرة ، هاتفا :



وفى اللحظة التالية مباشرة ، اخترق (أدهم) زجاج النافذة ، وقفز

داخل الحجرة ..

- كيف .. كيف فعلتها ؟

ومع آخر حروف كلماته ، انكح (آرتى) الحجرة ،
مع طاقم أمنه ، وهو يهتف :
- دون .. لقد خدعنا هذا الـ ...

اتسعت عيناه فى ذهول ، وغصن حلقه بباقي
العبارة ، وهو يحدق فى (أدهم) ، الذى خلع عن رأسه
القناع الأسود ، والصق قوامة سدسه أكثر بعنق
(ميديتشى) ، قائلاً فى سخرية :

- معذرة .. هل يضايقت وجودى يا عزيزى
(آرتى) ؟
بذل (آرتى) جهداً خرافياً ، للسيطرة على
مشاعره ، إلا أنه لم يهتف سوى بكلمة واحدة :
- اللعنة !

أما (ميديتشى) نفسه ، فقد ازدرد نعايه فى
صعوبة بالغة ، وسأل (أدهم) فى صوت متحشرج
مبحوح :

- كيف فعلت هذا ؟

مز (أدهم) كتفيه ، وقال :

- لم يكن الأمر عسيراً يا دون .. لقد استعنت
بطائرة كبيرة ، وفقرت بالمظلة من ارتفاع شاهق .

سأله (ميديتشى) مقوتراً :

- وكيف لم يرصدك الرادار ؟

أجابته (أدهم) :

- لقد فعل ، ولكننى عندما بلغت ارتفاعاً محدوداً ،
ألقيت فى الهواء قنبلة بسيطة الصنع ، تحوى مئات
الرقائق المعدنية ، التى تتأثرت فى الجو ، فأقست عمل
الرادار ، وفى اللحظة نفسها ألقيت دمية ثقيلة نحو
الركن الغربى للقصر ، ومعها جهاز توقيت خاص ،
لتفتيح مظلتها على ارتفاع مائة متر ، فى حين فتحت
أنا مظلتى على الفور ، وبدأت أعمل على توجيه نفسى
إلى الركن الشرقى ، ومع التوتر والانفعال ، نسي رجالك
كل قواعد الحذر والأمن ، وبدعوا فى ارتكاب الأخطاء
بالجملة :

أولاً - تركوا مواقعهم كلها فى آن واحد ، واتجهوا
بكل أسنحتهم ، وانتباههم ، وكلاب حراستهم ، نحو
الركن الغربى للقصر ، حتى أنه كان من الممكن لتكتيبة
كاملة أن تخترق الجانب الشرقى فى أمان تام ..

وثانياً - أنهم أطلقوا النار فى غزارة وسخاء ليس
لهما من مثيل ، وبدوى عنيف ، يكفى للتغطية على
ضجيح اقتراب دبابة الأسوار ، ثم أنهم لم ينتفروا هبوط

ذلك الجسم ، لفحصه على الأقل ، بل مطروء
برصاصاتهم في الهواء ، وكان من المحتمل أن يحوى
عبوة تاسفة ، تطيح بهم جميعا ..

وثالثا - لقد تركوك تجلس فى مكتبك ، والأضواء
تغمرك ، أمام زجاج نافذة كبيرة ، بحيث يستطيع قناص
ماهر أن يقتلك ، من مسافة نصف ميل ، باستخدام
بنديقية بعيدة المدى ..

باختصار .. رجالك لا يفقهون شيئا فى قواعد
الامن ، فهأذا هنا ، على الرغم من كل ما اتخذوه من
احتياطات ، وكل ما احتاج إليه للقضاء عليك هو ضغطة
زناد ..

قالها وهو يقرن قوله بالفعل ، ويضغط زناد
المسدس ، فانتفض جسد (ميديتشى) فى عصف ،
وصرخ المحامى ملغا :
- لا ..

ولكن المسدس لم يطلق رصاصة واحدة ، وإنما
انبعثت منه تكة معدنية مكتومة ، قبل أن يفضضه
(أدهم) ، قائلا :

- والآن يا دون .. آلت مستعد لتوقيع العقد ؟
ران على المكان صمت مطبق لثوان معدودة ، ثم

اتفجر (ميديتشى) ضاحكا ، على نحو أثار حنق
(آرتى) .. الذى صاح ، وهو يصوب مسدسه إلى
(أدهم) فى غضب :

- هذا الرجل يستحق ان يقتل يا دون ..

صاح به (ميديتشى) فى صرامة :

- إياك أن تفعل ، وبلا ..

ولم يتم (ميديتشى) عبارته ، فقد ضغط (آرتى)

زناد مسدسه بالفعل ، و ...

وانطلقت الرصاصة ..

* * *



٥- المضربة ..

نفثت دونا (كارولينا) دخان سيجارتها فى توتر بالغ ، وراحت تثقر بأصابعها على سطح المنضدة فى عصبية ، وهى تسأل أحد رجالها :

- إنن فقد غمر رجال (ميديتشى) السماء برصاصاتهم ، وتحركوا فى عنف متوتر ، وكان قوة اقتحمت القصر !

أجابها الرجل فى اتفعل :

- بيل وكأتهم يواجهون جيشنا ضخما .. إتقى لم أشهد مثل هذا قط .. لقد كنت أراقب المكان من مسافة أربعمئة متر ، ولكننى كنت أسمع دوى الرصاصات ونباح الكلاب فى وضوح ، ورأيت مظلتين تهبطان فى حديقة القصر ، واحدة فى الجانب الغربى ، حيث يدور القتال ، والثانية فى المنطقة الشرقية ، و ...

قاطعته دونا فى لهفة :

- ماذا تقول ؟؟ رأيت مظنتين .

ثم تالتى وجهها ، وهى تتراجع مكئة فى حماس :

- يا لنكاء !

وقهقهت ضاحكة ، قبل أن تضيف :

- يا له من رجل (أدهم) هذا ؟

بدت الحيرة على وجه الرجل ، وهو يقول :

- هل يعنى لك هذا شيئا يا دونا ؟

لوحثت بسيجارتها ، وتركت دخانها يرسم خطوطا

فى الهواء ، وهى تجيب :

- إنه يعنى الكثير .. يعنى أن (أدهم) مازال يتمتع

بالبقرية التى عهدته بها دائما ، وأما وثقة من أنه

الآن داخل قصر دون (ميديتشى) .

صمت الرجل لحظة فى تردد ، قبل أن يقول :

- ليس لدى أدنى شك فى هذا يا دونا ، ولكن

السؤال هو : على أية صورة ؟؟.. أهو داخل القصر

حيا ، أم ... أم جثة هامدة ؟؟..

وسرى التوتر فى جسد دونا (كارولينا) ، حتى

أنها اعتصرت سيجارتها بين إصبعيها ، وهى تصرخ

فى أعماقها ..

- نعم .. هذا هو السؤال ..

وامتلا ذهنها بصورة كبيرة ..

صورة مفزعة ..

* * *

عبر حياته الحافلة ، مر (أدهم) بعشرات المواقف والأحداث ، التي أعبته خبرة مدهشة ، في التعامل مع كل أنواع المقاتلين ، من رجال مخبرات ، وعصابات ، وحتى القنلة الماجورين ونصوص الشوارع .. ومنذ اللحظة الأولى ، التي التقى فيها (أدهم) بـ (آرتي) ، أمكنه تصنيفه ، ووضعته في الخانة التي ينتمي إليها ..

كان قاتلاً نموذجياً ، لم يتلق تدريبات منظمة ، أو ينتمي يوماً لجهاز أمنى رسمى ، ولكنه نشأ فى مناطق فقيرة ، تحسم فيها الأمور عادة بالعنف والقسوة ، ولا يصنع المزمع فيها مكانته ، إلا بإراقة نهر من الدم ، حتى يعتاد هذا ويألفه ، بل ويتجاوزته إلى الاستمتاع بإراقة الدماء ، فيتحوّل إلى قاتل محترف ، لا يشعر بكيانه إلا وهو يضيف المزيد إلى نهر الدم ، الذى يخوض فيه حتى علقه ..

وهذا الطراز بالذات ، لا يمكنه كتم انفعالاته ، أو السيطرة على مشاعره وتصرفاته ، فهو لا يعرف سبيلاً للتعامل مع الآخرين سوى القتل .. والقتل وحده ..

وعندما اقتحم (آرتي) ورجائه حجرة مكتب

(ميديتشى) ، راح (أدهم) يراقبه فى حذر وحرص شديد ، متوقعاً منه القيام بأى تصرف عصبى عدوانى .. وهذا ما فعله ..

نقد أطلق رصاص مسدسه نحو (أدهم) فى غضب ، ولكن هذا الأخير انتقط الحركة فى بدايتها ، وتحرك فى سرعة مدهشة ، فنفذ دون (ميديتشى) جالباً ، حتى لا تصيبه الرصاصة ، ثم انحنى فى مرونة ، ووثب إلى الأسام ، وقبضت أصابعه على معصم (آرتي) ، ولواه فى عنف ، ليجبره على إفلات مسدسه ، وهو يقول :

— هذا تصرف آخر ، ثبتت جهتك بضمائم الأمن . حاول (آرتي) أن يلكمه بيسراه ، ولكن (أدهم) تفادى اللكمة بمهارة مدهشة ، ثم هوى على فك (آرتي) بلكمة كالقنبلة ، مستطرداً :

— ويوسائل القتال أيضاً . سقط (آرتي) فى عنف ، وارتطم بأحد المقاعد ، ولكنه حاول أن ينهض مرة أخرى ، فركله (أدهم) فى وجهه ، وألقاه فاقد الوعي ، قبل أن ينتقلت إلى (ميديتشى) ، قاتلاً :

- قل لي يا دون : أكل رجائك بهذه الحماسة ؟
 اتعتقد حاجباً المحامى فى توتر شديد . وتحرك
 رجال الحراسة فى عصبية ، وكأنهم ينتظرون أوامر
 (ميديتشى) ، الذى أشار إليهم فى صرامة ، قائلاً :
 - اخفضوا أسلحتكم ، واحملوا (أرتى) ، واتصرفوا
 من هنا : قلدى حديث مع مستر (هوراشيو) .
 وابسبم ، وهو يصب لنفسه كأساً من الفودكا مرة
 أخرى ، ويغمر بعينه لـ (أدلم) ، مستطرداً :
 - سنعتقد صفقة خاصة .. خاصة جداً .

أطاعه رجاله على الفور ، وحملوا رليسهم إلى
 الخارج ، فى حين بدأ المحامى شديد العصبية والتوتر ،
 وهو يقول :
 - حذار يا دون .. ربما كان هذا الرجل هنا من
 أجلك .

التفت إليه (ميديتشى) بنظرة صارمة . وهو
 يقول :

- ومن منعه من قتلى إذن ؟ .. لقد كانت لديه
 الفرصة كاملة مرتين ، فلماذا لم يضغط الزناد ، وينهى
 المشكلة كلها بلا تعقيدات ؟

توتر المحامى لحظات ، وأرتج عليه ، فراح يلوح
 بكفيه فى صمت ، وكأنه يبحث عن الجواب ، قبل أن
 يقول فى حدة :

- ربما كانت لديه أسبابه .
 قهقهه (ميديتشى) ضاحكاً ، وهو يقول :
 - يا للمحامين ! .. إنهم لا يتوقعون عن الشك أبداً ..
 دعنا نتجاهله يا مستر (هوراشيو) ، ولنتم صفقتنا
 وحدنا .

قتل المحامى فى عصبية :
 - خطأ يا دون .. لا تعقد أبداً صفقة بدون محاميك .
 لوح (ميديتشى) بكأسه ، قائلاً :
 - إنها صفقة بسيطة يا (برنارد) ، لا داعى
 لتعقيدها بتدخل المحامين .. إننى أعرض على مستر
 (هوراشيو) العمل لدى كحارس خاص ، مقابل راتب
 كفيل بإسالة كل ما لديه من لعب ، إلى درجة الجفاف .
 قل المحامى :

- الأمر لا يمكن أن يكون بهذه البساطة التى
 تتصورها يا دون .. أريد أن أتحدث إليك لنصف الساعة
 أولاً ، قبل أن تعقد صفقتك هذه .
 ورمى (أدلم) بنظرة متوترة ، قبل أن يضيف فى
 حزم :

- وحدثنا .

ابن سم (ميديتشى) ، وقال :

- آه .. شكوك المحامين التقليدية .. لا بأس يا مستر (هوراشيو) .. سنتركنا وحدثنا لتصف المساعة ، وستحظى خلال هذا بضيافة من الدرجة الأولى .. هل يناسبك هذا ؟

هز (أدهم) كتفيه فى هدوء ، قائلاً :

- لا بأس على الإطلاق ..

وتبعاً لأوامر دون (ميديتشى) ، تم نقل (أدهم) إلى جناح خاص للضيافة ، فى حين التفت الزعيم المافى إلى محاميه ، وقال :

- حسن يا (برنارد) .. ماذا لديك لتناقشه معى ؟!

أجابته المحامى فى توتر :

- إننى أطلب منك أن تتريث قليلاً يا دون ، فليس من المنطقى أن تسمد مهمة حراستك الشخصية لرجل غريب ، التقيت به ليوم واحد .

أجابته (ميديتشى) مبتسماً :

- ولكنه نجح فى إبهارى مرتين ، فى هذا اليوم الواحد .

لوح المحامى بيده ، قائلاً :

- لم تتأكد بعد من عرضه الحقيقى يا دون .

اعتقد حاجباً (ميديتشى) ، وهو يقول :

- أعتقد أن أعظم ما كان بإمكانه تحقيقه هو قتلى يا (برنارد) .. وكانت لديه الفرصة مرتين ، دون أن يفعل .

بنت الحيرة على وجه المحامى ، قبل أن يندفع قائلاً :

- فليكن يا دون .. لن يضيرنا أن تتريث قليلاً .. أنت تعلم أن الموقف متوتر للغاية ، وأنت أشعلت الحرب بين العائلات ، وقتلت ثلاثة من الزعماء الكبار بالفعل ، ودونا (كارولينا) هنا فى (نيويورك) ، والمفروض أن نكون على حذر تام ، حتى اجتماع العائلات ، فى بداية الشهر القادم .

أشار (ميديتشى) بيمينه ، قائلاً :

- هذا بالتحديد ما دفعنى إلى التفكير فى أمر (هوراشيو) هذا ، فى ظل الظروف الحالية ، أعتقد أننى بحاجة إلى حماية خاصة مضمونة ، و (هوراشيو) رجل قذ .. لم أر له مثيلاً ، فى حياتى كلها ، وأنا سعيد ومحظوظ ، لأنه يرغب فى العمل لحسابى ، وليس ضدى ، ومن رأى أنها فرصة يمكننا الاستفادة منها .

سأله المحامي في حدة :

- وماذا لو أنه مخادع ؟

تنهّد (ميديتشى) ، وقال :

- فليكن يا (برنارد) .. دعنا نفترض أنه مخادع ،

ولكن أجب سؤالى جيداً .. ما الذى يسعى إليه إذن ؟

قلب المحامي كفيه ، وهو يقول :

- لمست أدرى بعد يا دون .

ابتسم (ميديتشى) ، وارتنشف رشفة من كأسه ،

قائلاً :

- استرخ إذن يا رجل ، ودع الأمور تسير .

لم يجد المحامي ما يقوله بعد هذا ، فلأذ بالصمت

تماماً ، وترك (ميديتشى) يدير أموره كما يراها ، ولكن

هذا لم يخدم تيران الشك ، التى راحت تستعر فى أعماقه

أكثر وأكثر ، حتى كادت تلتهم عقله كله ..

وبلا رحمة ..

* * *

رفع مدير المخابرات العامة المصرية عينيه ،

يتطلع إلى مساعده ، الذى قدّم له ورقة كبيرة ، وهو

يقول فى احترام :

- برقية من سيادة العقيد (أدهم صبرى) يا سيدى .

تناول المدير البرقية ، وهو يسأل :

- هل أنجز الخطوة الأولى ؟

أجابته مساعده مبتسماً :

- نعم يا سيدى ، وبإنجاح كبير .. الواقع أن الأسلوب

الذى اتبعه مبهّر كالمعتاد .

قرأ المدير البرقية فى عناية ، قبل أن يتساعل :

- عجباً ! .. المقروض أن (ميديتشى) أسند إليه

مهمة حراسته الشخصية ، وأنه لن يغادر القصر ، من

الآن فصاعداً ، إلا بصحبته ، فكيف أمكنه إرسال هذه

البرقية الشفرية .

ابتسم الرجل ، وقال :

- لقد استخدم جهاز (الفاكس) ، الخاص

بـ (دون ميديتشى) .. هذا ماتقوله التيليلات التى

تلقّاها جهاز الفاكس الخاص بنا ، فى بداية الرسالة .

أوماً المدير برأسه ، ونم يحاول إخفاء إعجابه ،

وهو يقول :

- يا للجرأة .

ثم عاد يهز رأسه ، مضيقاً :

- ولكننى مازلت أبغض هذا النوع من العمليات .

قال مساعده فى حذر :

- إنها ليست المرة الأولى ، التي نواجه فيها
(المافيا) يا سيدى .

أجابه المدير فى غضب واضح :

- بن هى المرة الأولى ، التي يعمل فيها أحد رجالنا
لحساب (المافيا) .

ثم انخفض صوته ، مع استدراكته :
- لصالحنا بالطبع .

ابتسم مساعده ، قائلاً :

- الظروف هى التي اضطرته لهذا .

أوماً المدير برأسه متفهماً ، وهو بغمغم :

- نعم .. الظروف أجبرتنا جميعاً على هذا .

ثم استعطف فى اهتمام :

- بالنسبة لـ (بن هوراشيو) التحقيقى .. هل تأكدتم

من أنه لن يعود إلى (نيويورك) ، ليفسد عمل (أدهم) كله .

أجابه مساعده بسرعة :

- نعم يا سيدى .. لقد ذهب إليه أحد رجالنا كعميل ،

وكلفه مهمة فى جزر (الياهواما) ، ولن يعود منها قبل

أسبوعين ، وهى المدة التي حددها سيادة العقيد (أدهم)

لإنهاء العملية .

تنهّد المدير ، وقال :

- قللتعظّم إنن أن يسير كل شيء على ما يرام ،

فجئ ما أتمناه أن تنتهى هذه العملية البغيضة بأقصى
سرعة .

وصمت لحظة ، قبل أن يستدرك :

- وبأقل خسائر .

وعاد يقرأ برقية (أدهم) ..

* * *

انعقد حاجبا (آرتى) فى عصبية ، عندما فتح نافذة

حجرة نومه ، فى الصباح الباكر ، ووقع بصره على

(أدهم) ، وهو يعنو فى حديقة قصر (ميديتشى) ،

مزاولاً رياضة الصباح ، رهف فى حلق :

- اللعنة !.. لست أتق قط بهذا الرجل .

تضاعفت عصبيته ، وهو يحلق نفسه ، حتى أنه

جرح نفسه مرتين ، وتناول إفطاره فى توتر ، ثم ارتدى

ثيابه ، وغادر حجرته إلى الحقيقة ، فى نفس اللحظة

التي انتهى فيها (أدهم) من رياضته ، واتجه نحو

حوض السباحة ، فلمحه (أدهم) وهو يقترب ، وابتسم

فى سخرية ، قائلاً :

- صباح الخير يا (آرتى) .. هل نعتت بنوم

عميق ، بعد لئمتى الرقيقة أمس ؟!

أجابه (آرسي) في غضب :

- هل تظن نفسك طريقا يا هذا ؟

لوح (أدهم) بتبصته ، وهو يقول :

- بل أظن أن قبضتي قوية بما يكفي .

اشتعل الغضب في وجه (آرسي) ، وصرخ وهو

يندفع نحو (أدهم) في وحشية :

- أيها اللعين .

تفادى (أدهم) الانقضاضة بوثبة جانبية ماهرة ،

ثم لكم (آرسي) بكل قوته في معدته ، وأردف لكمته

بأخرى في فكه ، ألقتة وسط حوض السباحة ، فغاص

فيه إلى عمق متر تقريبا . قبل أن يصعد إلى السطح ،

صارخا :

- سأقتلك أيها الوغد .. سأقتلك يوما .

أجابه (أدهم) في صرامة :

- فليكن .. وحتى يحين هذا اليوم ، حذار أن تتعامل

معى بعصبية أو قلة احترام ، وإلا فستصحو يوما نتجد

أنك قد فقدت كل أسنائك ، وتضطر لاستخدام طاقم أسنان

صناعي .

غادر (آرسي) حوض السباحة ، وهو يقول :

- ماذا تقول أيها المغرور .. دعنى أختبر هذا إنن .

قالها وانقضت على (أدهم) ثانية . وكان له لكمة

عنيفة ، لم تنجح إلا في إصابة كتفه . فدار (أدهم) على

قدمه اليسرى في سرعة ، وركله في صدره بإيملى ،

ودفعه إلى الخلف ، ولكن القاتل المحترف احتمل

الضربة ، على الرغم من قوتها ، وانقضت مرة أخرى

على (أدهم) ، وتشبث به ، هاتفا :

- لن تنجح في هذا دالعا .

نفعه (أدهم) بعيدا في قوة . ولكن أصابع (آرسي)

مالت على قميصه ، فجذبه معه إلى الخلف ، وألقده

توازئه ، وهما يندفعان معا نحو حوض السباحة .

وسقط الاثنان في الحوض ، وغاصا فيه معا ،

وما زال (آرسي) يتشبث بقميص (أدهم) ، الذي أمسك

معصمى خصمه في قوة ، ولواهما في عنف ، يجيره

على التخلي عن قميصه ، ولكن (آرسي) أمسك عنقه

بكل قوته ، وراح يضغطه في وحشية شرسة ، شعر

معا (أدهم) بألام مبرحة ، و ...

وفجأة ، سرت موجة عنيفة من التوتر في عروق

(أدهم) .

ليس بسبب قتاله مع (آرسي) ، ولكن بسبب

غوصهما معا في أعماق حوض السباحة ..

لقد أفسدت المياد تلك المادة اللاصقة ، التي تثبتت
 شاربه المستعار على وجهه ، فأثقت طرفاده ، وكاد يسقط
 أمام عيني (آرتي) ..
 وكان هذا كفيلا بإفساد الأمر كله ..
 إلا إذا ..

وبكل قوته ، لكم (أدهم) (آرتي) في معنته ، ثم
 لوى ثراعه خلف ظهره ، حتى يدير وجهه بعيدا ،
 وأحاط عنقه بساعده ، وراح يضغطه في قوة ..
 وجحقت عينا (آرتي) ، وهو يضرب بساعديه
 وقدميه ، في محاولة للتخلص من (أدهم) ، واختنقت
 أنفاسه تحت الماء ، وبدأ يفقد قدرته على الرؤية ،
 و ...

وفجأة ، وقع بصره على تلك الشيء ، الذي انفصل
 عن وجه (أدهم) ، وراح يسبح في عشوائية ..
 على الشارب المستعار ..
 ولكن هذه الرؤية لم تستغرق أكثر من ثانية
 واحدة ، وبعدها غلب عن الوعي تماما ..

وعندما شعر (أدهم) بالتعدام مقاومة خصمه ، دفع
 جسده إلى أعلى حامل إياه ، وهو ينتفض الشارب
 المستعار في خفة ، ويدسه في جيبه ، ولكنه لم يكـد

دفع (أدهم) (آرتي) خارج حوض الساحة ، وقرر خلعه إلى حافته ..

يصعد مع (آرتى) إلى السطح ، حتى رفع بصره على
آخر شخص يرغب فى رؤيته ، فى هذه اللحظة
بالذات ..

على دون (ميديتشى) ..

* * *

لثوان ، حثق (ميديتشى) فى وجه (أدهم) فى
دهشة بالغة ، قبل أن يهتف :

- (هوراشيو) .. ماذا تفعل ؟

نفع (أدهم) (آرتى) خارج حوض السباحة ،
وقفز خلفه إلى حافته ، وهو يقول :

- هذا السخيف هاجمنى دون مبرر ، ولم يكن
أما سوى أن ألقه درسا جديدا .

تطلع إليه (ميديتشى) لحظة ، ثم سألته :

- لماذا حلقت شاريك ؟

أجابته (أدهم) فى سرعة وهذوء :

- تصورت أن غذا سيجعلنى أكثر وسامة .

صمت (ميديتشى) لحظات ، وهو يتطلع إلى
وجهه ، ثم لم يلبث أن أشار إلى رجاله ، قائلا :

- اعتنوا بأمر (آرتى) .

حمل الرجال (آرتى) بعيدا ، فى حين خلع (أدهم)
قميصه المبتل ، وهو يقول :

- معذرة يا دون .. لم أكن أرغب فى إثارة هذا
التوتر فى الصباح ، ولكن (آرتى) كان غاضبا للغاية ،

و ...

قاطعه (ميديتشى) فى حزم :

- حاول أن تحسن علاقتك بـ (آرتى) ، فهو أحد
أفضل رجالى ، وأكره أن تنشأ الخلافات بينكما .

ظهر المحامى فى هذه اللحظة ، فأشار إليه
(ميديتشى) ، قائلا :

- لقد وصل (برنارد) مكررا كعاقته .

تطلع (أدهم) إلى سيارة المحامى ، التى توقفت
على بعد عدة أمتار من حوض السباحة ، وقال :

- أنتم ستبقىظنون جميعا مكررين يا دون ..
عجبا !... كنت أظن أن كل الأثرياء يستيقظون عندما

تصبح الشمس فى كبد السماء .

ضحك (ميديتشى) ، وهو يقول :

- كيف يكونون ثرواتهم إذن ، لو أنهم استيقظوا

متأخرين ؟

قالها ولوح لمحامييه ، هاتفا :

- صباح الخير يا (برنارد) .. هل قضيت ليلة طيبة ؟

صافحه (برنارد) ، وهو يخلّص نظرة جانبية إلى (أدم) ، قائلا :

- من العسير وصفها بأنها ليلة طيبة يا نون ، فقد أُنجزت خلالها الكثير من العمل ، ولم أتم سوى مساعتين أو ثلاث ..

سأله (أدم) مبتسما :

- وما الذي يمكن أن يفعله محام في قلب الليل ؟

أجاب (برنارد) بنهجة عدوانية :

- يجمع المعلومات عنك يا مستر (هوراشيو) .

ثم التفت إليه بجسده كله ، مستطوذا :

- لقد زرنا مكتبك ليلة أمس .

قال (أدم) في سخرية :

- حقا ؟ .. ولماذا لم تطلب مني مفتاحه يا مستر

(برنارد) ؟ .. كان هذا سيساعدك كثيرا .

تجاهل (برنارد) هذه السخرية ، وهو يقول في صرامة :

- جيرانك تعرفوا بصورتك يا مستر (هوراشيو) ..

الصورة ذات الشارب بالطبع ، ولكن فكرتهم عنك كانت

عجيبة للغاية .. تصور أنهم يرونك شابا مستهترا

خاملا ، لا يتوقع المرء منه أي نجاح .

هز (أدم) كتفيه ، قائلا :

- يروق لي أحيانا التظاهر بهذا .

سأله (ميديتشي) في دهشة :

- ولماذا ؟

أجاب في سرعة :

- لأن هذا يجعل تأثير المفاجأة على خصومي

مدهشنا ، عندما أستعيد شخصيتي الحقيقية .

أطن الشك واضحا ، من عيني المحامي وصوته ،

وهو يقول :

- منطق عجيب يا مستر (هوراشيو) .. أتريد أن

تقول : إنك شخص ناجح ، يستمتع بالتظاهر بالقتل ؟ ..

ألا يبدو لك هذا عجيبا ، بالنسبة لشخص يعتمد في

عمله على سمعته .

أجاب (أدم) في صرامة :

- لكن امرئ أسلوبه يا مستر (برنارد) .

قال (برنارد) :

- بالتأكيد .. وأسلوبى أنا يعتمد على توفير أكبر

قدر من الضمائم يا مستر (هوراشيو) ، ولذلك ..

لم يتم عبارته ، وإنما أشار بيده ، فخرجت من

سيارته امرأة فاتنة ، مقرطة الجمال ، فى أوائل
الأربعينات من عمرها ، اتجهت نحوهما ، وهى تحمل
حقيبة ديبلوماسية أنيقة ، فاستقبلها (ميديتشى) بهتاف
حار :

- (ليديا) .. يا لسعادتى برؤيتك !.. لماذا لم تقل
إن سكرتيرك بصحبك يا (برنارد) ؟
وربت على كتفيها فى حرارة ، وهو يطبع قبلة
على وجنتها ، فى حين رمت هسى (أدهم) بنظرة
جانبية ، قائلة :

- كيف حالك يا دون .. مازلت شابًا كما أرى .

فقهه (ميديتشى) ضاحكا ، وهو يقول :

- فى عينيك فقط يا عزيزتى (ليديا) .

وقال (برنارد) فى صرامة ، موجها حديثه إلى
(أدهم) :

- سكرتيرتى (ليديا) ستحصل على بصمات أصابعك

يا مستر (هوراشيو) .. إننا نحتاج إليها لاستخراج
ترخيص حمل السلاح ، وبعض الأوراق الأخرى ..

أدرك (أدهم) أن المحامى ليس بالرجل السهل ،
وأنه سيمثل نقطة الخطر الكبرى فى العملية كلها ،

ولكنه حافظ على هدوله وبساطته ، وهو يقول :

- بالتأكيد يا مستر (برنارد) .. ولم لا ؟

تطلعت (ليديا) إلى عيئه مباشرة ، بعينيهما
الواسعتين الساحرتين ، وفشحت الحقيقة لتخرج منها
بعض الأوراق المزدوجة ، وهى تقول :

- بنك اليمنى يا مستر (جوراشيو) .

ناولها (أدهم) يده اليمنى فى بساطة ، فالصقت
إحدى الأوراق بأتامله ، وضغطتها فى رفق ، ثم أبعدت
الورقة ، ووضعها فى غلاف خاص ، وأعادتها إلى
الحقيرة ، وهى تقول :

- اليسرى يا مستر (هوراشيو) .

وكررت ما فعلته ، ثم أغلقت الحقيرة ، وقالت :

- شكرا يا مستر (هوراشيو) .. هذا كل شيء .

فرح (ميديتشى) كفيه ، وهو يقول :

- عظيم .. والآن يمكننا تناول كأس من الخمر ،

و ..

« هذا الرجل زائف .. » ..

انطلقت تلك النصيحة القوية لتبتر حديثه ، فالتفت
الجميع إلى مصدرها فى دهشة ، ووقع بصرهم على
(أرتى) ، الذى يقف على مسافة عشرة أمتار ، ويحمل
مدفعا آليا ، يصوبه فى شراسة إلى (أدهم) ،
مستطردا :

- إنه ليس (هوراشيو) الحقيقي .

وتنجر قوله فى المكان كالتقبلة .

* * *

٦ - محاولة قتل ..

سرت موجة عنيفة من التوتر ، في حديقة القصر ،
و (آرتى) يقترب من (أدهم) كالمجنون ، ويقول ثائراً :
- انظروا إليه .. لقد فقد شاربه .

قال (أدهم) ساخراً :

- وماذا فى هذا ؟.. ألم تسمع عن تلك الاختراع
الغذى ، الذى يطلقون عليه اسم مومن الحلاقة ١٢ .. لقد
استخدمته وحلقت شاربى ، و ...

قاطعه (آرتى) بصيحة هادرة :

- كاذب .

هتف دون (ميديتشى) :

- (آرتى) .. ماذا أصابك ؟

صرخ (آرتى) ، وهو يندفع نحو (أدهم) :

- إنه كاذب .. كاذب حقير .. لقد كان يرتدى شارباً
مستعاراً .

قال (أدهم) ، فى لهجة توحى بالضجر :

- ولماذا أفعل ؟؟ ..

صاح به (آرتى) ، وهو يقترب أكثر وأكثر ، حتى
صار قيد ثلاثة أمتار منه :

- لتتحدث شخصية (هوراشيو) .

زفر (أدهم) متظاهراً بالتصيق ، وهو يقول :

- ألم يكن من الأيسر أن أحضر دون شارب ،
وأقول إننى (هوراشيو) ، ولكننى حلقت شاربى ؟ ..
لست أعتقد أن القانون يمنع المرء من حلاقة شاربه
وقتما يريد .

دفع (آرتى) فوهة المدفع الآلى نحو (أدهم) ،
صالحاً :

- هذا هو الخطأ الذى وقعت فيه يا رجل ، والذى
كشفت أمرك ، و ...

قبل أن يتم عبارته ، تحرك (أدهم) فى سرعة
مدهشة ، فمال جانباً ، وانفخ إلى الأمام ، وأمسك
مأسورة المدفع الآلى ، ورفعها إلى أعلى ، ثم وثب
يركن وجه (آرتى) بقدمه اليمنى ، ثم يخفضها لترتفع
اليسرى ، وتغوص فى معدته ، وانطلقت رصاصات
المنفع فى سماء القصر ، مع انقباضة الألم ، فى سبئية
(آرتى) ، ولكن (أدهم) أزال تلك الانقباضة بكلمة
ساحقة ، أصاحت به (آرتى) بعيداً ، وأبقت مدفعه الآلى
فى يد (أدهم) ، فنهض (آرتى) ممسكاً بفكه ، والدماء
تسيل من طرف شفتيه ، وصاح فى غضب :

- عضلاتك هذه لن تتخذ أحداً .. أنت زائف .

كانت كلماته كفيّة بإثارة الشكوك ، وإفساد خطة (أدهم) ، ولكن هذا الأخير ألقى المنفع الألى جاتها ، وهو يصرخ في وجه (آرتى) :

- كفى يا هذا .. لقد سمعت هذه السخافات ، ولم أعد أحتمل المزيد ..

ثم التفت إلى (ميديتشى) مستطرداً :

- قل لى يا دون : هل سيقصر عملى هنا على الاشتباك مع (آرتى) ، والدفاع عن نفسى ضد هجماته الشرسة ، والمحاولة المستمرة لإثبات هويكى وحسن نواياى ؟! .. لو أن الأمر كذلك ، فلنا أرفض القيام بهذا العمل السخيف ، وسيسعدنى أن أفسخ العقد المبرم بيننا ، دون أن أحصل حتى على حقوق فسحه ، التى تنصّ عليها بنوده .

انعقد حاجبا دون (ميديتشى) ، وهو ينقل بصره بين (آرتى) و (أدهم) ، والمنفع الألى المنقى أرضا ، فى حين قال (برنارد) فى اتفعال :

- لا بد من التحقق من اتهام (آرتى) له يا دون .

انتفت إليه (ميديتشى) ، وصاح فى صرامة :

- كفى يا (برنارد) .. أنا أيضاً سمعت كل هذا ..

إننا نخطط لكبير صملىة فى تاريخ العائلات ، منذ مذبحة الثلاثينات (*) ، وأحتاج لكل ذرة من عقلى وتفكيرى ، ولكن (آرتى) الأحق يضيع الوقت كله فى صراعات جانبية سخيفة ، نمرّد أنه يغار من حارسى الخاص الجديد ، الذى سيحل محله .. هل رأيتم تصرفنا أكثر طفولية وإثارة للحق من هذا ؟

هتف (آرتى) :

- دون .. إبنى ..

قاطعه بصرخة هادرة :

- كفى .. منذ هذه اللحظة لا أريد أية صراعات بين رجائى ، ولا أريد أية محاولات للتشكيك فى نزاهة حارسى الخاص .

قال (برنارد) فى حدة :

- ولكن يا دون ..

قاطعه غاضباً :

- قلت : إبنى لا أريد أية شكوك يا (برنارد) .. إنه

حارسى الخاص ، وأنا الذى يتحمل كل النتائج والعقبات ، ولن أسمح لمخنوق واحد بمناقشة قرارى النهائية .

(*) فى عام ١٩٣٨ م ، قام دون (كيرليون) ، كبير زعماء (مافيا) ، بالتخطيط لاغتيال كل الزعماء الآخرين ، وأنهم هذا بنجاح فى يوم واحد ، وبعدما أصبح هو الزعيم الأوحد لمنظمة (المافيا) بأكملها .

وأشار إلى (أدهم) ، مستطرداً في حزم :
- هيا يا (هوراشيو) .. ارتد ملابس جافة نظيفة ،
واستعد ، فستصحبني في جولة عمل في المدينة ،
وستجئ معي في سيارتي ، باعتبارك حارسى
الخاص ، أما (آرتى) والآخرين ، فسيبعوننا بالسيارة
الثانية .. هيا .

قالتها ، واستدار عائداً إلى القصر ، وهو يشير
للرجال بإعداد السيارة ، فارتسمت ابتسامة ظافرة على
شفتى (أدهم) ، وهو يقول :

- هن سنعتم أيها السادة ؟ .. سأخرج في جولة
خاصة مع دون (ميديتشى) .

وتجاوز (آرتى) الذى كان يتفجر غيظاً ، واتجه
إلى حجرته ، فى المنزل الصغير الملحق بالقصر ، ولم
يكد يبلغها ، حتى دس يده فى جيب سرواله القصير ،
ليستعيد الثارب المستعار ويتخلص منه ، ولكن يده
تجمدت فى مكانها ، داخل الجيب الخالى ..

لقد اختفى الثارب المستعار ..
اختفى تماماً ..

* * *

مسح (آرتى) السماء من طرف شفتيه ، وهو يقول
فى غضب وثورة :

- أنا أركب السيارة الخلفية .. أنا !!! حسن
يا دون (ميديتشى) .. أقسم إنك ستندم على هذا ..
ستندم أشد الندم ، أنت و (هوراشيو) اللعين هذا .
رئت أحد رجاله على كنفه ، قائلاً :
- عدك من (هوراشيو) يا (آرتى) .. إنك لا تصنع
لمواجهته .

التفت إليه (آرتى) فى غضب ، صاخاً :
- ماذا تقول أيها المافون ؟! .. أنا لا أصلح لمواجهة
(هوراشيو) هذا ؟! .. أنا ؟!

أجابته الرجل ، وهو يبتعد عن متناول يده :
- معذرة يا (آرتى) .. لم أكن أقصد أنك لست أهلاً
له .. كل ما قلته هو أنك لا تصلح لمواجهة ،
فالواجهة ليست مضمارك .. إنك تتفوق فى مجال
آخر .

تألفت عيناً (آرتى) ، وهو يقول :
- مجال آخر ؟! .. هل تعنى ؟!

أجابته الرجل فى سرعة :
- نعم يا (آرتى) .. هذا ما أعنيه ، فمنذ حدثنا
وبينك الضعيفة لا تؤهلك للمواجهات المباشرة ، وربما
كان هذا ما دفعك إلى تطوير أسلوبك ، وتحديث وسائلك ،
والتفوق فى المجال الذى اخترته لنفسك .

برقت عينا (آرتى) ، وهو يقول :
- أتقصد الـ .. القتل .

ابتسم الرجل ، وهو يقول :
- نعم يا (آرتى) .. القتل .. فن القتل ببراعة .
ثم ربت على كتفه ، مستطردا :
- هذا هو مجالك الحقيقى .

ازداد يريق عيني (آرتى) ، وهو يقول :
- صدقت يا رجل .. من الخطأ أن يبتعد المرء عن
مصدر إبداعه ، فمهارتى الحقيقية هى السبيل الصحيح
لتخليصنا من ذلك المتطفل .. وإلى الأبد .
واتطلق يقهقه بضحكة مجلجلة ..
وشريرة ..

* * *

قاد (أدهم) سيارة نون (ميديتشى) ، عبر شوارع
(نيويورك) ، وهو يقول فى ضيق متعمد :
- لم أكن أعلم أن عمل الحارس الخاص يتضمن
قيادة السيارة أيضا .
أجاب (ميديتشى) فى هدوء صارم ، من المقعد
الخلفى :

- لقد علمت الآن .. ولتعلم أيضا أن حارسى الخاص

يقوم عادة بكل الأعمال ، التى أكلفه إياها ، دون أن
يعترض أو يناقش .. هذا جزء من عمله .

هز (أدهم) كتفيه ، قائلا :

- لا بأس ، ما دام يحصل على أجر مناسب .
ثم استطرد وهو يتطلع إليه ، عبر المرأة الداخلية :
- والآن إلى أين سنذهب بالضبط ؟ .. أم أن هذا

سر ؟

أشار (ميديتشى) بأصابعه ، قائلا :

- سنتجه أولا إلى مطعمى فى الشارع الأربعين ،
وبعدها سنذهب إلى مقر الشركة .
سأله (أدهم) :

- أمن الضرورى أن نذهب إلى المطعم فى وضح

النهار هكذا ؟

أجاب (ميديتشى) فى حزم :

- ولماذا لا ؟ .. لقد اعتدت تناول طعام إفطارى مع
رئيس الشرطة ، صباح كل أحد ، ولست مستعدا لتغيير
هذا ، لمجرد أن بعضهم يضيق بوجودى فى هذه
الحياة .

قال (أدهم) متظاهرا بالقلق :

- هذا النمط الثابت يضاعف من خطورة الأمر
يا دون ، فأى شخص يرغب فى اغتيالك ، يمكنه
ببساطة تحديد موقعك فى أية لحظة .
قال (ميديتشى) فى قلق :

- وما مهمتك إذن ؟.. هل تعتقد أننى أستأجر
لتغيير خط حياتى ؟.. صحح معلوماتك إذن يا صاح ..
إننى أدفع لك هذا الأجر الضخم لتحافظ على نمط
حياتى وتؤمنه ، وليس لتقلب أمورى كلها رأساً على
عقب .

قال (آدم) :

- ولكن هذا يجعل الأمر أكثر صعوبة .

هتف (ميديتشى) فى حدة :

- ولكن الأجر يناسب الموقف حسبما أعتقد .

أوماً (آدم) برأسه إيجاباً ، وهو يقول :

- بالتأكيد يا دون .. بالتأكيد .

كان يمثل دور الحارس الخاص بإتقان مذهش ،
فقد السيارة الفاخرة عبر الشوارع المزدهمة ، حتى بلغ
الشارع الأربعين ، وتوقف أمام المطعم ، ثم غادر
السيارة ، ودار حولها ، ليفتح الباب لدون (ميديتشى) ،
فى نفس اللحظة التى توقفت فيها سيارة (آرتى)

ورجاله خلف سيارة (ميديتشى) ، وبدأ الزعيم المافى
هبوطه من سيارته ، و ...

وفجأة ، برز رجلان مقتعان ، من داخل سيارة
(فان) كبيرة ، ورفع كل منهما مدفعه الآلى ، وصوبوا
المدفعين نحو (ميديتشى) ..

وانتبه (آرتى) للموقف ، والتزع مدسه ، صرخاً
فى رجاله :

- احترسوا يا رجل .

ولكن قبل حتى أن يصوب مدسه ، كان (آدم)
قد دفع (ميديتشى) داخل السيارة ، واسقل مدسه ،
صالحاً :

- تراجع يا دون .

ثم أطلق النار على الرجلين ، فأصاب أحدهما فى
صدره ، وأعاد داخل السيارة الكبيرة فى عنف ،
والدماء تتفجر من صدره فى غزارة ، وأصاب الآخر فى
فخذة وبطنه ، فتراجع والدماء تنزف منه ، وصرخ فى
سائق السيارة :

- ابتعد يا رجل .. ابتعد فى سرعة .

وانطلقت (الفان) مسرعة ، وانحرفت فى أحد
الشوارع الجانبية ، قبل أن يطلق (آرتى) رجاله

رصاصية واحدة ، واندفع رئيس الشرطة من المطعم ،
مع اثنين من رجاله ، وهم يحملون أسلحتهم ،
(أدهم) يسأل (ميديتشى) :
- أنت بخير يا دون ؟

نفض (ميديتشى) ثيابه بلا مبرر ، وهو يقول فى
اضطراب :

- نعم يا (هوراشيو) .. نعم .. أنا بخير .
وهتف به رئيس الشرطة :

- مرحى يا دون .. لقد رأيت كل شيء .. إن لك
حارساً خاصاً تحصد عليه بالفعل .. لقد شاهدنا الرجلين
من خلف زجاج الواجهة ، وهما يهرزان من (القان) ،
وقبل أن نستوعب الموقف حتى كان حارسك الخاص قد
استل مسدسه ، وتعامل معهما بالفعل .

غادر (ميديتشى) السيارة ، وهو يقول فى زهو :
- مستر (هوراشيو) ليس حارساً عادياً .. إننى
أنتخب أفضل الرجال لحمايتى دائماً .

ثم ربت على كتف (أدهم) ، مستطرداً :
- أليس كذلك يا مستر (هوراشيو) ؟

كانت إشارات الحسد والحقد واضحة على وجه
(آرتى) ، وهو يعيد مسدسه إلى غمده ، ويقول فى
حدة :

- أما كان من الأجدى أن تطارد (القان) ، بدلاً من
أن تضع الوقت فى امتداح (هوراشيو) العجيب ؟
لوح رئيس اليونيس بيده ، وهو يقول :
- وما الفائدة ؟ .. لا يمكنك مطاردة سيارة فى قلب
(نيويورك) .. هذا من رابع المستحيلات .

هتف (آرتى) فى حنق :
- أية شرطة هذه ؟

أشار إليه (ميديتشى) بيده ، قائلاً فى صرامة :
- اصمت يا (آرتى) .

ثم دفع رئيس الشرطة أمامه ، مستطرداً :
- أرجو ألا يكون هذا الحادث البسيط قد أفسد
شهيتك يا سيادة الرئيس ، فإفطار فى مطاعم
(ميديتشى) لا يمكن التنازل عنه بسهولة .

عاد معه رئيس الشرطة إلى المطعم ، مرتدّاً :
- بالطبع يا دون .. بالطبع .

اتجها إلى مائدة خاصة فى ركن المطعم ، تتيج
لهما مراقبة الطريق ، عبر الواجهة الزجاجية ، دون أن
ينتبه إليهما أحد ، وما أن جلسا حولها ، حتى أخرج
(ميديتشى) من جيبه مظروفاً منتقفاً ، ناوله إلى
رئيس الشرطة ، قائلاً بابتسامة واسعة ، تحمل لمحة
من السخرية :

- خذ .. جفف عرقك يا رجل ، بعد هذا الانفعال .
التقط الرجل المظروف ، وفتحته ليلقي نظرة سريعة
على محتوياته ، وارتفع حاجباه في دهشة ، وهو يدسه
في جيبه ، قائلا :

- المبلغ أكبر من المعتاد هذه المرة يا نون ..
أهناك عمل إضافي .

ابتسم (ميديتشي) ، قائلا :

- عظيم .. لقد بدأت تستوعب الأمور يا رجل ..
هناك عمل إضافي بالفعل .

أختلس رئيس الشرطة النظر إلى (أدهم) ، الذي
يقف على مقربة . فأشار إليه (ميديتشي) بيده ، وهو
يقول :

- أطمئن .. الحارس الخاص هو أيضًا كاتم الأسرار
في المعتاد .

لم يبد أن الرجل يشعر بالارتياح ، على الرغم من
قول (ميديتشي) ، ولكنه مال نحو هذا الأخير ، وسأله
في اهتمام :

- ما نوع العمل الإضافي بالتحديد ؟

أجاب (ميديتشي) في هدوء :

- هناك بوق في المدينة ، أرغب في إسكاته ؛ لأن
وجوده يسبب لي إزعاجًا .



وأشار إليه (ميديتشي) بيده ، وهو يقول :

- أطمئن .. الحارس الخاص هو أيضًا كاتم الأسرار في المعتاد ..

قال الرجل في دهشة :

- وما حاجتك إلينا إذن ؟... إنك تتونى مثل هذه الأمور بنفسك في المعتاد !

أجاب (ميديتشى) في صرامة :

- ولكننى لا أرغب فى التعامل على نحو مباشر هذه المرة ، فالشخص المراد التخلص منه ليس شخصاً عادياً ، ولن يمكننى التخلص منه بنفسى ، أو حتى الظهور فى الصورة ، عندما يحدث هذا .

سأله الرجل فى قلق :

- أهو شخصية هامة إلى هذا الحد ؟

أجاب فى حزم :

- نعم .. فى العائلة على الأقل .

جذب الحديث انتباه (أدم) فى شدة ، على الرغم من تظاهره بالانشغال بمراقبة المكان ، وأرهف سمعه فى اهتمام ، ورئيس الشرطة يسأل :

- ومن هذا الرجل بالتحديد ؟

أجاب (ميديتشى) فى شيء من التوتر :

- إنه ليس رجلاً .. إنه امرأة .

تراجع رئيس الشرطة ، قائلاً فى دهشة :

- امرأة ؟!

تضاعف التوتر (ميديتشى) ، وهو يجيب فى حزم :
- نعم .. امرأة تدعى (كارولينا) ... دونا (كارولينا) .
وكانت مفاجأة جديدة .

* * *



تجاوزت السيارة (الفان) الطريق المزدحمة ، في قلب (نيويورك) ، وانطلقت نحو الضواحي الشمالية ، ثم توقفت ، وقفز منها سائقها ، إلى جوار سيارة أخرى أنيقة ، من طراز (فورد) ، وأشار بيده ، قائلاً :
- هيا يا رجال .

لم يكذب قوله ، حتى وثب أحد المكنعين خارج السيارة ، في نشاط مدهش ، لا يتناسب قط مع الإصابة الواضحة في فخذه ومعدته ، والدماء التي تغرق نصفه السفلى كله تقريباً ، وانتزع القناع عن وجهه ، وهو يقول :
- كانت عملية رائعة في الواقع .

لحق به زميله ، والدماء تغرق صدره ، وخلع قناعه بدوره ، وقفز داخل الفورد ، معقياً :
- أراهنك أن تعمل مع (أدوم) هذا متعة .. هل رأيت كيف أصاب أهدافه بسرعة ودقة مدهشتين ؟ لقد خشيت لحظة أن تتحرف إحدى رصاصاته ، بعيداً عن الدروع التي نرتديها ، فتسبب في إصابتنا بالفعل .
انطلق زميلهما بالسيارة (الفورد) ، وهو يتنسم قائلاً :

- هذا لأنكما لم تعملوا مع سيادة العميد (أدوم) من

قبل .

أجاب الأول ، وهو يخلع ستارته ، ويتركع الدرع المزود بأكياس الدم من بطنه وفخذه :
- إننا لم نعمل معه بالفعل ، ولكننا سمعنا الكثير عنه .. إنهم يطلقون عليه اسم (الأسطورة) ، ولقد تمنينا كثيراً أن نعمل تحت إمرته يوماً .
انتزع الثاني درعه من فوق صدره ، وهو يقول مبهوراً :

- ولكن ما تسمعه شيئاً ، وما تراه شيء آخر ..
إنني لم أتصور أبداً أن يستطيع رجل ما إطلاق النار بهذه السرعة ، وبمنتهى الدقة ، كما فعل سيادة العميد .
قال سائق السيارة ، وهو ينحرف بها ، عائداً إلى قلب المدينة :

- الخطة كلها كانت تعتمد على سرعته ودقته ، وإلا فقد كان من الممكن أن يطلق الآخرون النار أولاً ، وتنتهي مصرعنا بالفعل .

أوماً كل منهما برأيه ، وغمغم أحدهما :
- هذا صحيح .

ثم سأل في اهتمام :

- ولكن ما الغرض من هذه التمثيلية ؟ .. ما الذى يفيد سيادة العميد من التظاهر بقتلنا أمام أحد زعماء (المافيا) ؟

أجابه السائق فى صرامة :

- لا تسأل .. أنت تعرف قواعد العمل فى عالم المخابرات .. المعرفة بقدر الحاجة .. لقد عرفت الجزء الخاص بك ، وهذا يكفيك .

سأله زميله :

- هل تعنى أنك أيضاً تجهل السبب ؟

أجابه فى حزم :

- بالتأكيد .. الأسباب لاتهم ، ما دمت تثق فى قيادتك ، وما دمت تعمل من أجلها .

سأله الثالثى :

- من أجل القيادة ؟

هتف السائق بسرعة :

- كلا .

ثم امتلأ صوته بالفخر والاعتزاز ، وهو يضيف :

- بل من أجل (مصر) .

ولم ينطق أحدهم بعدها ببنت شفة ، بل خفقت قلوبهم فى قوة ، و ...

وعادت بهم السيارة إلى قلب (نيويورك) ..

* * *

ران الصمت اتمام على سيارة دون (ميديتشى) ، و (أدهم) يقودها ، متجهاً إلى شركة هذا الأخير ، الذى قطع حبل الصمت ، ليسأله فى هدوء :

- فِيم تَفَكَّر يا (موراشيو) ؟

أجابه (أدهم) بسرعة ، وكأنه كان ينتظر السؤال :
- فى تلك المرأة .

سأله (ميديتشى) فى قلق :

- أية امرأة ؟

أجابه (أدهم) مباشرة :

- دونا (كارولينا) .

اعتدل (ميديتشى) فى مقعده بحركة حادة ، وهو

يقول :

- وما شأنك بها ؟

تجاهل (أدهم) تلك النبذة العصبية فى صوت

(ميديتشى) ، وقال :

- لماذا نستعين بالشرطة لتتخلص منها ؟ .. إننى

أستطيع القيام بهذه المهمة فى سهولة .. أخبرنى أين

هى ، وسأنتهى العملية بشكل متقن ، يجعل الأمر يبدو

كحادث عارض .

تراجع (ميديتشى) ليسترخى مرة أخرى فى

مقعده ، وهو يقول :

- كلاً يا (هوراشيو) .. لو أننى أرغب فى أن
نتولى العمل بأنفسنا ، لأسندت هذه المهمة إلى
(آرتى) .. إنه فنان فى هذا المجال ، ويجد متعة فى
التخلص من الآخرين عادة ، ولئن من الأفضل أن يقوم
رئيس الشرطة بهذا العمل ، وألا نتورط فيه قط ، ولو
من بعيد .

سأله (أدهم) فى إلحاح :

- لماذا ؟ .. إننا نستطيع القيام بهذا العمل بشكل
أفضل .

هزّ (ميديتشى) كتفيه ، وهو يجيب :

- ربما كان هذا صحيحاً ، ولكن قوانين العائلة
تجعل الأمر صعباً إلى حد كبير ، فلو ثبت أننى تورطت
فى عملية قتل ، دوناً (كارولينا) ، ولو بطريق
غير مباشر ، لن يصبح باستطاعتى الحصول على
الزعامة المطلقة أبداً ، فالقانون عندنا صريح ، فى أن
قاتل الزعيم لا يمكن أن يصبح زعيماً ، بل ولا يبقى حتى
كرئيس لعائلته ، إذ يتم تنحيته ، وتصفيه ممتلكاته ،
وتسولى العائلات المحيطة به على كيانه كله ، وربما
تم قتله أيضاً ، لو اتفقت الآراء على هذا (*) .

(*) هذا واحد من قوانين (لعالميا) ، لئلا تتزلزعها فقط ،

ولقد تم وضعه بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ، حتى لا تتكرر
مذبحة الثلاثينات .

كان (أدهم) يعرف هذا جيداً ، ويحفظه عن ظهر
قلب ، ولكنه تظاهر بأنه يسعه لأول مرة ، وهو يقول :

- آه .. فهمت .

ثم استدرك بسرعة :

- ولكننى ما زلت مصراً على أننى أستطيع القيام

بالمهمة على أفضل وجه .

هزّ دون (ميديتشى) رأسه فى حزم ، قائلاً :

- كلاً .. ولئن تناقش هذا الأمر ثانية .

ولم يناقشه (أدهم) بالفعل ، إذ عاد عقله ينشغل

بتلك التطورات الجديدة . ويفكر فيها فى عمق ..

إن دوناً (كارولينا) تواجه خطراً فعلياً هذه المرة .

فى قلب (نيويورك) ، معقل زعامة دون (ألبرتو

ميديتشى) . وعليه أن يسعى لتحذيرها منه ، قبل أن

يظفر بها ، وتضيع مهمته هباءً ..

ومع تداعى الأحداث والتفكير ، وجد أفكاره كلها

تتركز على ذلك الشارب المستعار ، الذى فقدته فى حديقة

القصر .

ولأول مرة يجد نجاحه معلقاً بشارب مستعار ..

ويا لسخافة الموقف ! ..

فلو عثر أحد رجال (ميديتشى) على ذلك الشارب

مصادفة ، فسيكون هذا أكبر دليل على أنه ليس
(هوراشيو) الحقيقي ، وستكفي بثرة الشك هذه لفحص
ملامحه كلها ، وكشف تنكره ، و ...
وفشل العملية كلها ..

وكان عليه أن يبذل قصارى جهده للعثور على
الشارب المستعار ، وهو يتساعل في قلبي :
هل عثر عليه شخص آخر ؟! ..
هل ؟! ..

* * *

حاول المحامي (برنارد) أن يسترخي في مقعده ،
على الرغم من التوتر للعنيف ، الذي يملأ نفسه ، وهو
يتطلع إلى صورة (آدم) ، في شخصية (هوراشيو) ،
التي نقلتها (ليديا) إلى شاشة الكمبيوتر ، وقال :
- هل راجعت تقرير البصمات ؟

أجابته (ليديا) في هدوء ، وهي تضع إحدى
مناقبيها فوق الأخرى ، وتسمح لتوبها القصير أن ينحسر
أكثر وأكثر عنهما :

- لم يتم العثور على بصمة واحدة باسم (بن
هوراشيو) ، فالتقانون لا يجبره على وضع بصماته في

أى مكان ، وحتى رخصة قيادة السيارة ، لا توضع
البصمة على امتقارته إلا برغبة الشخص نفسه (*) .
قال في عصبية :
- هذا يضاعف من الشكوك ، التي تستعر في

نفسى .

وعاد يتطلع إلى الصورة على شاشة الكمبيوتر ،

ثم قال :

- ماذا لو أبدلنا لون العينين ، أو غيرنا طريقة
تصفيف الشعر ، أو لونه ، أو أضفنا لحية مثلاً ؟! .. هل
يمكنك فعل هذا ؟!

أجابته ، وهي تضغط أزرار الكمبيوتر :
- بالتأكيد .. لدى برنامج متكامل لهذا .

راقب (برنارد) الشاشة في اهتمام بالغ ،
و (ليديا) تبدل الملامح الأساسية لصورة (آدم) ،
فتضيف إلى وجهه لحية قصيرة ، أو كثة ، أو تضع
على عينيه نظاراتاً طبياً ، ثم تبدل لونهما ، وتغير
تصفيفة الشعر ، و ...

ولجأة ، اعتدل (برنارد) ، وهتف بها :

(*) صحيح (في الولايات المتحدة الأمريكية فقط) .

- توقفي .

ومال في اهتمام بالغ ، يطلع إلى الصورة
المرسومة على الشاشة في إمعان ، قبل أن يقول :
- أنا أعرف هذا الرجل .. لقد رأيته حتماً من قبل .
قائلها ، وانطلق عقله يفتش في ذاكرته بمنتهى
الدقة عن جواب سؤال واحد ..
متى رأى هذا الشخص ؟

وقل السؤال يدور ويدور ، وعينا (برنارد)
لا تفارقان تلك الملامح ، التي تملأ شاشة الكمبيوتر ..
ملامح وجه (أدهم صبري) ..
وجهه الحقيقي ..

* * *

وقف (آرتي) في ركن القاعة الملحقة بمكتب
(ميديتشي) في الشركة ، يراقب (أدهم) ، الذي راح
يخط بضغ كلمات فوق ورقة صغيرة ، ثم سأل في شيء
من الصرامة :
- ماذا تكتب ؟

أجابته (أدهم) في برود ، دون أن يتوقف عما
يفعله ، أو حتى يرفع عينيه إليه :

- ليس هذا من شأنك .

كان (أدهم) يخط رسالة شفرية للقيادة ، في
محاولة منه لتحذير دونا (كارولينا) ، وعقله مشغول
بالتبحث عن وسيلة لإرسالها إلى (القاهرة) ، أو إلى
مكتب المخابرات المصرية في (نيويورك) ، ولكن
أسلوبه هذا استفز (آرتي) ، الذي قال في حدة :
- ماذا تعني بأن هذا ليس من شأنى ؟ .. كلاً ما يعمل

لحساب دون (ميديتشي) ، وأنا المسئول عن الأمن في
عائلته ، ومن الضروري أن أفهم كل ما تفعله .
لوح (أدهم) بالرسالة ، وهو يقول :
- وما الذي تتصور أنني أفعله ؟
أجابه في صرامة عصبية :

- ومن أراهم ؟ .. ربما كنت تدون بعض المعلومات
عن الدون ، بنية بيعها لخصومه .
فقرزت الفكرة بقتة إلى رأس (أدهم) ، وبنت له
طريقة وعملية ، حتى أنه كاد ينفجر ضاحكاً ، وهو
يقول :

- يا له من تفكير خيالي ! .. وهل تعتقد أنك تستطيع
منعني ، لو أن الأمر كذلك بالفعل ؟

تبادل رجال (ميديتشى) النظرات القلقة ،
وتصوروا أن اشتباكا جديدا سيحدث بين (أدهم)
و (آرتى) ، والأخير يقول فى حدة :

- بالطبع يمكننى منعك .. هذا من صميم عملى .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة ، وهو يقول :

- إذن فأنت لم تستوعب التكنولوجيا الحديثة بعد
يا رجل .. لو أن هذه الورقة تحوى بعض المعلومات
السرية ، التى أرغب فى توصيلها لخصوم الدون ، لما
كان على أن أفعل سوى هذا .

واتجه إلى جهاز (الفاكس) ، الموضوع فوق
المائدة الكبيرة ، فى منتصف القاعة ، وضغط زر
تشغيله ، وهو يقول :

- سأشغل جهاز (الفاكسميلى) ، وأضع فيه

الرسالة ، ثم أطلب رقم هؤلاء الخصوم هكذا مثلا :

قالها ، وهو يطلب رقم مكتب المخابرات فى
(نيويورك) بالفعل ، فارتفع رنين الهاتف لحظة ، ثم
تبعه أزيز الفاكس ، عند الطرف الآخر ، فضغط (أدهم)
زر الإرسال ، مستطردا :

- وبهذا يكفى أن أضغط زرًا واحدًا هكذا .

غاصت الرسالة فى تجويف الجهاز ، وبرزت من
أجانب الأخير ، بعد أن انتهت إرسالتها ، فالتقطها
(أدهم) متابعًا فى سخرية :

- وبهذا يمكننى أن أمزق الرسالة نفسها هكذا ،
وألقيها فى سلة المهملات .. بل ويمكننى أن أمزق
التأكيد المطبوع أيضا .

كان يتحدث وهو يقرن القول بالفعل ، فيمزق
الرسالة والتأكيد المطبوع ، ولكنه بدلا من إلقائهما فى
سلة المهملات ، دسهما فى جيبه ، مضيفا :

- هل رأيت كيف أن الأمر أبسط مما تتصور ؟

ابتسم الرجال ، وهم يخفون مخبريتهم ، ويتطلعون
إلى (آرتى) ، الذى اعتقد حاجباه لحظة ، وهو يحرق
فى جهاز (الفاكس) ، ثم لم يلبث أن قال فى حدة :

- ما الذى فعلته الآن ؟

جلس (أدهم) على أقرب مقعد إليه فى هدوء ،
وهو يقول :

- كنت أثبت لك أنه لا يوجد أى مبرر لقلقك الزائد
هذا .

راح (آرتى) ينقل بصره بين وجه (أدهم) وجهاز
(الفاكس) ، وهو يشعر أن الأول قد سخر منه بوسيلة ما ،
ولكن المدهش أنه لم ينتبه إلى ما حدث جيدا ..

لم ينتبه إليه أبداً ..

أما (أدهم) نفسه ، فعلى الرغم من تلك الإلتصاف
المساخرة ، التي ملأت وجهه ، إلا أن عقله كان يهتف
فى قلق ..

ترى هل تصل الرسالة إلى (كارولينا) فى الوقت
المناسب ؟ ..
هل ؟ ..

* * *

نفثت دونا (كارولينا) دخان سيجارتها فى عصى ،
وتجاهلت الرنين المتصل للهاتف ، وهى تبتذل جهداً
للاسترخاء فى مقعدها ، فتقدم منها أحد حارسىها
الخاصين ، وهو يقول فى قلق ، مشيراً إلى الهاتف :
- أئن تجيب هذه المرة أيضاً يا دونا ؟
لوحث بأصابعها ، قائلة :

- لست أرغب فى التحدث إلى أحد .. إننى مرهقة
ومتوترة للغاية ، وأحتاج إلى قدر من الراحة
والاسترخاء .. لا مقابلات ، أو مكالمات .. أو حتى أخبار
سيئة .. دعونى أسترجع قدرتى على التفكير السليم ،
وإلا تخبطت كل قراراتى .

تطلع الرجل فى قلق أكثر إلى الهاتف ، الذى
يواصل رنينه فى إلحاح ، وقال :

- ربما كانت محادثة هامة .

صمت لحظة مفكرة ، وغصمت :

- المكالمات الهامة الوحيدة المنتظرة ، ستأتى من

(أدهم) .. فليكن .. أجب الهاتف ، ولو لم يكن المتحدث

هو (أدهم) بنفسه ، أنه المكالمات على الفور .

أسرع الرجل إلى الهاتف ، وكأنه كان ينتظر هذا

الأمر ، ولكنه لم يجد يلمسه ، حتى انقطع رنينه ،

فارتسمت على وجهه خيبة الأمل ، فى حين ابتسمت

(كارولينا) ، قائلة :

- هذا أفضل .

أجابها الرجل فى توتر :

- أنا على عكسك يا دونا .. أتمنى أن يرن الهاتف

مرة أخرى ، فهناك شخص ما يحاول الاتصال بنا فى

إصرار ، ونحن تجاهلناه خمس مرات فى عناد ، وربما

كان ما لديه بالغ الخطورة بالفعل .

أشارت بأصابعها فى توتر ، ونفثت دخان

سيجارتها ، قائلة :

- ولو .. قلت لك إننى مرهقة للغاية ، وحتى لو

أخبرنى صاحب المكالمات أن هناك قبيلة ستفجر تحت

مقعدي ، لما غدرت مكانى لحظة واحدة .

هز الحارس رسه ، قائلا :

-دونا .. إنك تبالغين ، فالمفروض ..

قاطعه في صرامة عنيفة :

- لا يوجد مفروض .. نفذ أوامري فحسب .

تتهد في ضيق ، ولكنه أجاب صاغرا :

- كما تأمرين يا دونا .

أطفأت سيجارتها في منل ، وهي تشير إليه ،

قائلة :

- تأكد من تأمين المكان ، واتبه مع زميك جيدا ،

فنحن هنا في قلب (نيويورك) ، ولا يمكننا أن نأمن

شرور دون (ميديتشي) .

أجابها في حماس :

- اطمئنى يا دونا .. لقد اتخذنا كافة الاحتياطات

اللازمة لتأمين سلامتك ، فكل من يتتبعك سينتصرونك

تقيمين في (الهيلتون) ؛ لأننا حجزنا جناحا باسمك

هناك ، وأوقفنا ثلاثة من رجالنا لحراسته بالفعل ، كما

أن سيارتك المصفحة الخاصة تقف في ساحة الانتظار

أمامه ، وفي الوقت نفسه استأجرنا هذه الشقة باسم

آخر ، ونقلناك إليها متكرة ، وعلى الرغم من ثقتنا في

أن أحدا لن يتصور أن المقيمة هنا هي دونا (كارولينا) ،

زعيمة زعماء (المافيا) ، إلا أننا نؤمن المكان جيدا ،

فيقف إثنان من رجالنا عند مدخل البناية طوال الوقت ،

في حين أقوم وزميلي بحراسة باب شقتك .. ألا يكفيك

كل هذا ؟

تثابعت قبل أن تقول :

- بالتأكيد .. وماذا ستطمئنا إلى هذا الحد ،

فاتركنى وحدى ؛ لأبعم بقتيل من الاسترخاء أو النوم .

أجابها الرجل بسرعة :

- كما تأمرين يا دونا .. كما تأمرين .

وغادر الشقة في خطوات مسرعة ، وأطلق بابها

خلفه ، فتنهت (كارولينا) ، وألقت جسدها المكسود

فوق أريكة وثيرة ، وهي تتساءل :

ترى ما الذى يفعله (أدم) الآن ؟ ..

وفي نفس اللحظة ، التى دار فيها هذا السؤال

بخلدها ، كان هناك رجلان يقتربان من مدخل البناية

التي تقيم فيها ، في قلب (نيويورك) ، وتوقف أحدهما

ليحكم رباط حذائه ، أمام باب البناية مباشرة ، فاستند

رفيقه إلى الباب ، إلى جوار رجل الحراسة ، وابتمم

وهو يسأل أحدهما :

- فيم وقوفكما هنا .. هل تنتظران شخصا ما ؟

رمقه أحدهما بنظرة صارمة ، وهو يقول :

- ليس هذا من شأنك .. امض في طريقك .

هز الرجل رأسه ، وقال :

- لا داعي لكل هذا التوتر .. سننصرف فور انتهاء

زميلى من إحكام رباط حذائه .. ما رأيك بتدخين

سيجارة على نفقتى ، فى هذا الوقت ؟

قالها ، وهو يدين يده فى جيب سترته الداخلى ،

فى حركة بدت طبيعية ، و ...

وفجأة ، خرجت يده بمسدسه ، الذى هوى بكعبه

بكل قوته ، على فك الحارس ، الذى انقلب مقتلاه ،

وارتطم بالبواب فى عنف ، فتلقفه حامل المسدس بين

ذراعيه ، قبل أن يسقط شائد الوعى ، واتجه الحارس

الثانى على الفور ، فاستل مسدسه بسرعة . ولكن

الشخص الذى كان يتظاهر بإحكام رباط حذائه هباً واقفاً

بسرعة أكبر ، وهوى على فك الحارس الثانى بلكميتين

عنيفتين ، أفقدتاه وعيه على الفور ، فتلقفه بين ذراعيه

بدوره ، ثم أمسكه جيداً بيسراه ، وهو يلتقط من جيب

سترته الأيمن أداة رفيعة ، نسها فى حافة الباب ،

بمحاذاة الرتاج الإليكترونى ، ومررها فى ممرعة ، ثم

ضغط طرفها ، وضغطها بين ضنفتى الباب ، فأصدر

الرتاج أزيزاً خافتاً ، وانفتح فى هدوء ، فنفع الرجلان

الباب ، ودلفا إلى البناية ، وهما يجران الحارسين

القائدى الوعى ..

وفى دهشة مذعورة ، هب حارس البناية الرسمى

فى مكتبه ، واستل مسدسه ، هاتفاً :

- من أنتم ؟ .. وماذا تفعلان ؟

ولكن أحد الرجلين ألقى حملة ، وأطلق مسدسه

نحو الحارس ، فخرج من فوهة المسدس سهم دقيق ،

الغرس فى عنق الحارس ، الذى جحظت عيناه ،

وتجمت أصابعه على مسدسه ، ثم هوى على مكتبه

قائد الوعى ..

وهنا ، تحرك الرجلان بسرعة مذهشة ، فتركا

الحارسين القائدى الوعى ، إلى جوار الحارس

الرسمى ، واطلقا نحو المصعد ، فاستقلاه إلى الطابق

الذى تقيم فيه دونا (كارولينا) ، ولم يكد المصعد

يتوقف هناك ، حتى هب حارساً دونا فى توتر ، وحمل

كل منهما مسدسه ، وتأهباً لاستقبال القادمين ، ولكن

باب المصعد انفتح ، وارتفعت فوهتا المسدسين فى

مستوى القادم ، و ...

وكانت مفاجأة ..

لقد رقد الرجلان في قاع المصعد ، تفاديا لأية
رصاصات عصبية ، تنطلق في اللحظات الأولى ، وعندما
نمحا حارسى (كارولينا) ، أطلقا عليهما مسدسيهما ،
من قاع المصعد ، فاتفرس سهم أحدهما في عنق
الحارس الأول ، وأفلت السهم الثانى هدفه ..
وعندما سقط الحارس الأول فاقد الوعي ، تراجع
الثانى فى مرعة ، هائفاً :
- احترسى يا دونا .

ولكنه لم يجد الوقت لضغط زناد مسدسه ، فقد وثب
أحد القادمين فى براعة مذهشة ، وركل المسدس من
يده ، ثم كال له نكمة عنيفة ، جعلته يرتطم بالجدار ، ثم
يرتد عنه فى قوة ، لتستقبله قبضة الرجل الآخر بلكمة
مباحقة ، أسقطته أرضاً فاقد الوعي ..
وفى شفتها ، التقطت دونا (كارولينا) الهاتف ،
فوثبت من الأريكة إلى حقيبتها ، والتقطت مسدسها ،
هائفة :

- ربّاه .. من الواضح أنهم عثروا علينا .

لم تكذ تتم عبارتها ، حتى اقتحم الرجلان الشقة فى
عنف ، فاستدارت إليهما ، وأطلقت رصاصات من
مسدسها ، صارخة :

- إن تحصنوا على بسهولة .

ولكن رصاصتها ضاعت هباء ، عندما تفز أحد
الرجلين أرضاً ، ومال الثانى جانباً ، وهو يطلق نحوها
سهماً مخترأ آخر ..

وشعرت (كارولينا) بألم فى ذراعها ، وحاولت أن
تطلق رصاصات أخرى ، ولكن سهماً آخر اتفرس فى
عنقها ، فسقط مسدسها من يدها ، وترنحت ، ثم فقدت
وعيها ، وهى تسقط أرضاً ، فوثب أحد الرجلين يتلقفها
فى رفق ، ثم أرقدها على الأريكة ، وأشار إلى زميله
إشارة صامتة ، فتقدم زميله إلى النافذة ، ولوح بيده
ثلاث مرات ، ولم يكذ يفعل ، حتى ارتفع صوت بوق
سيارة إسعاف ، توقفت خلال نصف الدقيقة أمام باب
البنية ، وهبط منها اثنان من المسعفين ، يحملان محفة
أنيقة ..

ولم تمض ثلاث دقائق أخرى ، حتى كانت سيارة
الإسعاف تنطلق مبتعدة ، وبداخلها الرجلان والمسعفان
والهدف المنشود ..
دونا (كارولينا) .

* * *

انطلقت الساعة الكبيرة ، فى بهو قصر دون
(ميديتشى) ، تعلن تمام منتصف الليل ، وبلغت دقائقها
مسماع (أدهم) ، وهو يرقد فى فراشه ، فى حجرة
الحارس الخاص ، فى الطابق السفلى من القصر ، فألقى
نظرة سريعة على ساعة يده ، ليتأكد من توافقها مع
ذلك التوقيت ، ثم غمغم فى إرهاب :

- كل هذا ومازلنا فى منتصف الليل .. من الواضح
أنه كان يوماً طويلاً للغاية .

لم يكن قد حصل على كفايته من النوم ، منذ هبط
بمظلته فى حديقة القصر ، منذ أربع وعشرين ساعة ،
لذا فقد أسبل جفنيه ، وترك جسده يسترخى ، لينعم
ببعض النوم ، يستعيد به نشاطه : قبل أن يواصل
مهمته فى الصباح التالى ..

ولقدائق لا تتجاوز العشر ، غرق (أدهم) بالنعفل
فى نوم عسيق ، تنوى إليه كل خلية من خلاياه ، و ...
وفجأة ، استيقظ ..

لم يكن هناك سبب محدود لاستيقاظه على هذا
النحو ، ولكن يبدو أن كثرة معايشة الخطر تمنى فى

المرء غريزة خاصة ، تتجاوز حدود الحواس الخمس
المعروفة ، وتوقظ تلك الحواس الكامنة فى العقل
الباطن ، وفى ثنايا المخ ، فتتمو وتلشط ، وتصير أكثر
تألقاً وكفاءة ، من الحواس العادية ..

فى أعماق (أدهم) ، انطلق جهاز إنذار حيوى
عجيب ، أيقظ حواسه كلها دفعة واحدة ، وأنبأه بأنه
هناك خطر قريب ..

قريب للغاية ..

وفتح (أدهم) عينيه دفعة واحدة ، وخفق قلبه فى
صنف ، وهو يحرق فى ذلك القصر الأسود ، الجاثم فوق
صدره ..

كان عنكبوتاً أسود ضخماً ، فى حجم قطعة صغيرة ،
من ذلك النوع المعروف باسم (الأرملة السوداء) (*) له
مظهر يشع مخيف ، بأطرافه المشعرة الطويلة ، وعيونه
الدقيقة العديدة .

وكان يتحرك فى بطن ، متجهاً إلى عنقه ووجهه ..
وسيطر (أدهم) على مشاعره بإرادة فولانية ، وهو

(*) الأرملة السوداء : نوع من العقارب السامة ، التى تعيش
فى الغابات ، ويطلق هذا الاسم على كثرة التحنيد ، نظراً لأنها تقتل
الذكر فور انتهائه من عملية التلقيح ، كما أنها ثليدة المسمة
واقترمة ..

يراجع كل معلوماته عن ذلك النوع من العقارب السامة ..

كان يعلم أن ذلك العنكبوت ، مثله مثل كل المخلوقات الأخرى ، فى عالم الحيوان والطير والحشرات ، لا يهاجم لمجرد الهجوم ، وإنما يفعل هذا عندما يستشعر الخطر ، فينقض للدفاع عن نفسه ..

إن فالخطوة الأولى ، هى ألا تستشعر (الأرملة السوداء) الخطر ..

ولهذا لاذ (أدهم) بالصمت والسكون التامين ، وكنم أنفاسه ، والعنكبوت اسام يخطو فوق عنقه بأطرافه الثمانية المشعرة . ذات الملمس الناعم ، الذى يثير فى النفس قشعريرة عجيبة ..

وفى بطنه ، انتقل العنكبوت من عنقه إلى وجهه ، وجاس فيه بضع لحظات ، ثم تسل إلى شعره ، واستقر فوقه لحظات أخرى ، وهو يعبث فيه بأطرافه ..

وراح (أدهم) يتنفس فى بطنه ، حتى لا يشعر العنكبوت بالأنفاس التى تتردد فى صدره ، وأرخى أطرافه تماما ، حتى يبدو أشبه بجسم ميت ، وانتظر فى صبر مذهش ، حتى سأم العنكبوت جنونه فوق شعره ، فتحرك منه إلى اوسادة ، و ...

ووثب (أدهم) خارج الفراش فى حركة مباغثة سريعة ، جعلت العنكبوت ينقض على الموضع الذى كان يحتله فى عصف شرمن ، ولكن (أدهم) اختطف المصباح المجاور للفراش ، وهوى به على العنكبوت السام مرتين ، حتى سحقه تماما ، فالتقط نفسا عميقا متوترا ، وهو يقول :

- هذه الرسالة تحمل توقيع ذلك الوغد (أرتى) بلا شك .

كان الإفعال قد أطار النوم من عينيه تماما ، فوقف يتطلع إلى العنكبوت بضع لحظات ، قبل أن يغمغم :

- فنيكن .. رب ضارة نافعة .. اعتقد أن الليلة ستشهد نشاطا إضافيا ، بسبب (أرتى) هذا .

قالها ، وارتدى ثيابه ، وحذاء مطاطيا ، ثم غادر حجرته فى خفة ، وسار على أطراف أصابعه ، حتى حجرة مكتب (ميديتشى) ، التى تلف إليها بسرعة ، وأغلق بابها خلفه ، ثم وقف يدير عينيه فيها ، معتصدا على ضوء القمر ، الذى يتسلل عبر النافذة ، التى تم إصلاحها ، وتمتم :

- ترى هل تخفى خزائنك بطريقة مبتكرة يا (ميديتشى) ، أم أن نمطيك ستعكس على هذا أيضا ؟

توقف بصره عند لوحة كبيرة ، على الجدار المقابل
لمكتب (ميديتشى) مباشرة : فاستطرد فى سخرية :
- سيحبطنى كثيراً أن أجد الخزنة خلف هذه اللوحة .
اتجه نحو اللوحة ، وجذب جانبها ، فدارت حول
محور فى جانبها الآخر ، لتكشف خزنة متوسطة الحجم
خلفها ، جعلت (أدهم) يقول متهكمساً :
- مستحيل !.. خزنة لمطية ، فى مكان لمطى ..

يبدو أنك لا تستحق موقعك عن جدارة يا دون .
قضى بضعة لحظات فى فحص الخزنة ، ثم راحت
أصابعه الخبيرة المدرية تعيث بقفنها القديم ، ذى الأرقام
المسوية ، وأنه تلتصق بباب الخزنة ، حتى سمع تكة
خافتة ، تعنى أن رتاجها قد انفتح من الداخل ، وهنا
تحسّس (أدهم) الجدران ، وراح يلق عليها فى
حرص ، ليتأكد من أن الخزنة لا تتصل بأية أجهزة
إنذار تقليدية ، ثم فتحها فى حذر ، و ...

وفجأة ، بوت صفارة إنذار قوية ، وراحت أضواء
الحجرة تتألق ، فترجع (أدهم) فى سرعة ، قائلاً :
- يبدو أننى لم أحسن تقدير نكاعك يا دون
(ميديتشى) .

كان من الواضح أن هذه الخزنة مجرد فيج ، نخداع



ولكن (أدهم) اختطف المصباح المجاور للقرآن ، وهوى به على

العنكبوت السام مرتين ..

أى لص تقليدى ، بدليل أنها كانت خاوية تمامًا ، وأن صفارة الإنذار تكفى لإيقاظ كل من يقيم فى القصر ، وحتى من يجاوره ، على مسافة نصف الكيلومتر ، ونقد سمع (أدهم) بالفعل وقع أقدام تعدو فى اتجاه الحجرة ، وتغلق طريق الفرار الوحيد ..

- لقد حاصروه هذه المرة ..

حاصروه تمامًا ..

* * *

استيقظت (ليديا) من نومها ، على الرتين المتصل لجرس الباب ، فالتقطت مسدسها من تحت وسادتها ، واتجهت فى سرعة وحذر نحو الباب ، وهى تسأل :

- من هناك ؟

أتاها صوت (برنارد) ، وهو يقول فى انفعال :

- إنه أنا يا (ليديا) .. افتحى .. أريد أن أتحدث إليك .

كانت ترتدى ثوباً قصيراً للغاية من ثياب النوم ، إلا أن ذلك لم يمنعهما من أن تفتح الباب ، وهى تقول :

- هل تعرف كم المصاعبة الآن يا (برنارد) ؟

نلف المحامى إلى منزلها ، والانفعال يطن من كل خلجة من خلجاته ، وهو يلوح بيده ، قائلاً :

- أعرف يا (ليديا) .. إنها الواحدة تقريباً ، ولكن ما لدى بالغ الخطورة ، ولا يحتمل التأجيل .

سألته فى شىء من انقلق :

- وماذا لديك يا (برنارد) ؟

تطع إليها ، وهو يجيب فى حماس :

- لقد تعرفت الرجل .

سألته فى حيرة :

- أى رجل ؟!

أجابها فى سرعة :

- ذلك الذى ينتحن شخصية (بل هوراشيو) ..

كنت واثقاً من أننى قد رأيته من قبل ، ولقد كنت على حق .

اعتقد حجبها فى شدة ، وهى تسأله :

- ومن هو يا (برنارد) ؟

أمسك كتفها فى قوة ، من فرط انفعاله ، وهو يجيبها :

- شيطان (المافيا) .. ألا تتذكرينه ؟

ردت فى دهشة :

- شيطان (المافيا) ؟!

أجابها بحماس واضح :

- نعم يا (ليديا) .. شيطان (المافيا) .. ضابط
المخابرات المصري ، الذى تسبب فى إنقاء القبض على
دون (ريكاردو) (*). وفى مصرع دون (مايكل) (**).
والذى هزم (المافيا) فى (تكسان) ، وأسقط دون
(ريكاردو) صريحا بأزمة قلبية (***) ... لقد أطلقوا
عليه لقب (شيطان المافيا) ، عندما شن عليهم حربا
منفردة فى قلب (إيطاليا) (****) ، وهزمهم وحده شر
هزيمة ، مما تسبب فى النهاية فى مقتل
(جروشوماتيانى) ، وصعود دون (كارولينا) إلى قمة
السلطة والزعامة فى المنظمة (*****). لمست أدرى
كيف نسيته .. إنه (أدهم) .. (أدهم صبرى)
أطلقت من عينيها قنبلة من الدهشة . وهى تهتف :
- (أدهم صبرى) ؟! .. ولكن هذا الرجل صديق
لدونا (كارولينا) (*****) !

- (*) راجع قصة (قاع الخطر) .. المغامرة رقم (٣) .
(**) راجع قصة (حلفاء الشر) .. المغامرة رقم (١٢) .
(***) راجع قصة (أبواب الجحيم) .. المغامرة رقم (١٩) .
(****) راجع قصة (شيطان المافيا) .. المغامرة رقم (٤٨) .
(*****) راجع قصة (قضرية القاضية) .. المغامرة رقم (٤٩) .
(*****) راجع قصة (دونا كارولينا) .. المغامرة رقم (٦٠) .

هاتف (برنارد) :

- بالاضبط .. وهذا يفسر كل شيء .. كل شيء .
ثم ابتعد عنها ، وتوَّح بيده ، مستطردا :
- هيا يا (ليديا) .. هيا .. سنذهب على الفور إلى
دون (ميجيتشى) ، ونبلغه مالدينا من معلومات .

هتفت فى دهشة :

- فى هذه الساعة ؟!

أجابها منفعلا :

- هناك من الأخبار ما لا يحتمل التأجيل .. سننقظ

دون (ميجيتشى) ، أو ننتزعه من فراشه لو لزم الأمر ،
ونبلغه من يكون هذا الذى يمنحه كل ثقته .

سألته فى حذر :

- لم لم تتصن به هاتفيا ؟

أجابها ملوِّحا بيده فى توتر :

- كنت أفعل هذا ، ولكننى خشيت أن يكون هذا
الرجل قد وضع أجهزة تصنت فى الهاتف ، ولست أدرى
ماذا يصبح رد فعله ، عندما يعلم أننا كشفنا أمره ..
كلّا .. فى هذا الأمر بالذات ، الأفضل أن نذهب
بأنفسنا .. هيا .. دعينا لا نضيع الوقت ..

صممت لحظة ، وهي تتطلع إلى وجهه ، قبل أن تقول :

- فليكن .. انتظرني قليلاً .

واتجهت إلى حجرة نومها في خطوات واسعة ، وأغلقت بابها خلفها ، ثم التصقت به ، وراح قلبها يخفق في عنف ، وهي تتمتم في انفعال :

- رجل مخابرات مصري ١٢ .. من كان يتوقع هذا ؟! وقلت جامدة في موضعها لحظات ، ثم اتجهت مباشرة إلى دولايبها ، وفتحت أحد أدراجها ، والتقطت منه شيئاً ، تطلعت إليه في راحتها لحظات ، قبل أن تبسم في خبث ، قائلة :

- إن هذا هو مرك الغامض أيها الحارس الخاص .

وكان هذا الشيء ، الذي تتطلع إليه مجرد شارب .. شارب (أدهم صبرى) المستعار ..

* * *

ثم يكن الوقت في صالح (أدهم) أبداً ..

إنه يقف داخل حجرة مكتب دون (ميديتشى) ، التي يندفع نحوها الجميع في توتر ، بعد انطلاق جرس الإنذار ، وخارجها في الحديقة وقف رجال الحراسة ، ومعهم كلابهم المتوحشة ، وأسئلتهم المتحفزة ..

ولم يكن أمامه سوى ثوان معدودة ، للعثور على مخرج من هذا المأزق ..

وكعادته ، في مثل هذه المواقف ، انطلق عقل (أدهم) يعمل في سرعة مذهلة ، ويدرس الموقف كله في ثانية أو أقل ، ثم يتخذ القرار ..

ويضربة واحدة ، أعاد (أدهم) باب الخزانة والٹوحة إلى موضعها ، ثم انتزع المصباح الكبير من ركن الحجرة ، وقطع سلكه الطويل ، وانتزع منه قطعة قصيرة ، لوأها ليصنع منها ما يشبه القوس ، ثم دس طرفيها في مفتاح الإبرة ..

ودوت في المكان طرقة مكتومة ، مع حدوث قصور مباغت في الدائرة الكهربائية ، أدى إلى انقطاع التيار في المكان كله ..

كان (أدهم) يعلم أن هذا الانقطاع لن يستغرق أكثر من ثوان معدودة ، يبدأ بعدها المولد الكهربى في العمل ، وفتحه بسرعة ، ليسمح للقادمين باقتحام المكان ، قبل أن يمتزج بهم ، هاتفاً :

- من قطع التيار الكهربى ؟! ... حاصروا المكان ..

لا تسمحوا لأحد بالخروج .
عادت الأضواء تسطع ثانية ، وهو يقف بين

(آرتى) ورجاله ، ويدير عينيه فى المكان ، وكأنه
يبحث عن النقص المزعوم ، فحذق فيه (آرتى) فى
عصبية ، قبل أن يقول فى حدة :
- ماذا تفعل هنا ؟.. من أين أتيت ؟
أجابه (أدهم) فى سخرية :
- إننى أفعل نفس ما تفعله أيها الوغد ، ولقد أتيت
من حجرى مباشرة .
وصل (ميديتشى) فى هذه اللحظة ، وهو يربط
معطفه المنزلى ، ويقول فى شحوب :
- ماذا حدث ؟
أجابه (آرتى) فى عصبية :
- انطلق جهاز الإنذار ، ثم انقطع التيار الكهربى ،
وأعتقد أن أحدهم كان يحاول سرقة الخزنة .
هتف (ميديتشى) فى ارتياح :
- الخزنة ؟
قالها وتدفع نحو الجدار المجاور لمكتبه ، إلا أنه
لم يلبث أن توقف بغتة ، واستدار هاتفا :
- ولكن أين هو ؟.. أين هذا المارق ؟
استدار (آرتى) يشير إلى (أدهم) ، قائلا فى
غضب :



وبضربة واحدة ، أعاد (أدهم) باب الخزنة واللوحه إلى موضعها ..

- ما هو ذا .

ارتفع حاجبا (ميديتشى) فى ارتياح . وهو يهتف :

- (هوراشيو) !؟

اتعقد حاجبا (أدهم) فى صرامة . وهو يقول :

- لا تصنق هذا الحقيير يا دونا .. سسل رجاله ،

الذين اقتحموا معنا الحجرة .. هل رأتى أحدهم داخلها ..

أدار (ميديتشى) عينيه إلى الرجال ، وكأنه يحيل

السؤال إليهم ، فبدت عندهم الحيرة ، وارتسم على

وجوههم الارتباك ، وقال أحدهم ، وهو يهرش رأسه :

- فى الواقع يا دونا .. إننى لم أنتبه إلى وجود

(هوراشيو) ، إلا بعد أن أصبحنا داخل الحجرة ، وقبلها

كان الموقف مرتبكاً ، و ...

قاطعه آخر بسرعة :

- هذا ينطبق علىّ أيضاً يا دونا .

وهتف ثالث :

- وأنا أيضاً .

صرخ (آرتى) فى حلق غاضب :

- لا تصدقهم يا دونا .. هذا هو السارق .. إنه

الشخص الوحيد ، الذى انضم إلينا فى الآونة الأخيرة .

اتعقد حاجبا (ميديتشى) فى غضب ، وهو يسأل

(أدهم) :

- ما الحقيقة فيما يقولون يا (هوراشيو) ؟

واجهه (أدهم) بجان ثابت ، وهو يجيب :

- الحقيقة هى أن أحدهم يكره وجودى هنا يا دون ،

ويكره نجاحى فيما فشل هو فيه ، حتى أنه يسعى

لخلخلة ثقتك بى ، وإزاحتى من هنا بأى ثمن .

صاح (آرتى) :

- أنت كاذب .

التفت إليه (أدهم) ، قائلاً فى صرامة :

- حقاً !؟ .. من حاول قتلنى إذن هذا التمساء .

قالتها ، وهو يخرج العنكبوت السام الثقيل من

جيبه ، وينقيه عند قدمى (آرتى) ، الذى تقفز متراجعاً ،

وشحب وجهه بشدة ، وحقق فى العنكبوت المسحوق

بارتياح ، بدا أشبه باعتراف صريح ، جعل الغضب يغمر

وجهه دون (ميديتشى) ، وهو يرمق (آرتى) بنظرة

طويلة ، قبل أن يقول فى صرامة :

- أديك تفسير لهذا يا (آرتى) ؟

حاول القاتل المحترف أن يتماسك ، إلا أن كتمته

خاتمه ، وهى تخرج من بين ثفتيه مرتبكة متوترة :

- دون .. يمكننى أن أشرح لك .. إننى ...

قاطعه (ميديتشى) بصيحة هادرة :

- كفى .. لن أسمع كلمة واحدة زائدة .. لقد انتهت
الأمر ، ولن ..

قيل أن يتم عبارته ، ارتفع فجأة رنين الهاتف على
مكتبه ، فالتقط سماعته بحركة آلية ، ووضعها على
أذنه ، قائلاً بصوت لم يفارقه توتره بعد :
- من المتحدث ؟

أتاه صوت رئيس الشرطة ، وهو يقول في توتر :
- إنه أنا يا دون .. لدى خبر بالغ الأهمية ، جعلنى
أجرو على محادثتك ، فى هذا الوقت المتأخر .
سأله (ميديتشى) فى اهتمام بالغ ، جناب التباه
(أدهم) بشدة :
- أى خبر هذا أيها الرئيس ؟

أدرك (أدهم) على الفور أن المتحدث هو رئيس
الشرطة ، فأرغف سمعه جيداً ، محاولاً التقاط أى جزء
من الحديث ، الذى بدا له أنه يخص دوناً (كارولينا)
حتمًا ، ولكنه لم يسمع صوت رئيس الشرطة ، وهو
يجيب :

- لقد تم اختطاف دوناً (كارولينا) فى وضوح
النهار .
هتف (ميديتشى) :

- اختطاف ؟ ..! يالها من فكرة !.. ألم تجد وسيلة
يفضل من هذه يا رجل ؟.. نصف (نيويورك) ستصوّر
الآن اثنى المستون عن اختطاف دوناً (كارولينا) هذا ،
وستثور ثورة العائلات ، و ...
قاطعه رئيس الشرطة فى توتر بلغ ذروته :
- مهلاً يا دون .. صحيح أن دوناً قد اختطفت ، إلا
أننا نسأ من فعل هذا .

ارتفع حاجباً (ميديتشى) فى شدة ، حتى خيل
لـ (أدهم) أنهما سيقفزان خارج وجهه ، وهو يصرخ :
- لستم ماذا ؟.. أى قول هذا يا رجل ؟.. هل تعنى
أن أحدهم قد اختطف دوناً (كارولينا) من قلب
(نيويورك) ، فى وضوح النهار ، وأن هذا الـ (أحدهم)
ليس أنتم ؟.. من فعلها إذن ؟
أجابه رئيس الشرطة فى عصبية :

- لا أحد يدرى يا دون .. لقد تصوّرت أنك فعلتها ،
ولكننا نبذل قصارى جهدنا للبحث عن القاع .. صدقنى
يا دون .. إنها أعجب جريمة خطف واجهناها ، طوأل
صمتنا بالشرطة .. تصوّر أن المختطفين لم يريقوا قطرة
دم واحدة .. لقد خنثوا الجميع ، وأزاحوهم عن الطريق

استعانت دونا (كارولينا) وعيها بثقة، ففتحت
عينيها عن آخرها، وحنقت في سقف المكان لحظات،
وهي تحاول استيعاب الموقف، وتستعيد ذاكرتها
القريبة تدريجياً ..

كانت ترق داخل حجرة أنيقة، فوق فراش وثير،
وفوقها غطاء حريري أزرق، يتناسب مع لون مصباح
السقف، والجدران السماوية، والأثاث، وحتى تلك
اللوحات الرقيقة، التي تم توزيعها على الجدران في
تناسق بديع ..

ولمضت دونا تدير عينيها في المكان، ولاحظت
الستار الكبير الأزرق، الذي يوحى بوجود نافذة ما،
فقفزت من فراشها، وأزاحت بسرعة، واتخذت حاجبها
في توكر، عندما رأت الحائز الزجاجي السميك خلفه،
والذي يطل على حجرة أخرى مجاورة، لا تحوى سوى
فراش صغير ومكتب بسيط، وذات جدران عارية
بيضاء، فأعادت الستار إلى موضعه، واستدارت إلى
بابين في طرفي الجدار المقابل، ثم اتجهت إلى أحدهما
وفتحتة، ورأت خلفه حماناً بالغ الأناقة، يغطى أرضيته

في براعة مذهلة، ثم اختطفوا دونا، وابتعدوا، دون أن
يتركوا خلفهم أدنى أثر .

وفي هذه المرة، لم يستطع (ميديتشي) أن ينطق
بحرف واحد، فقد بدا له الأمر أشبه بلغز ..
لغز غامض عجيب ..

* * *



وجدراته سيراميك أزرق ، له نقوش جميلة متناسقة ،
فأغلقتة ، واتجهت إلى الثاني ، الذي قادها إلى ردهة
متوسطة ، تحوى أريكة وثلاثة مقاعد وشيرة ، ومكتبة
صغيرة ، تضم جهاز (تليفزيون) ، وجهاز استماع
حديث ، وعدد من اسطوانات الليزر الموسيقية ،
راجعتها بسرعة ، واتخذت حاجباها ، وهي تغغم :

- (ميلفى فارسان) .. (سيناترا) .. (شيرلى
باس) .. عجباً !.. إنها اسطواناتى المفضلة .

لم يكن هذا الشيء الوحيد الذى تفضله فى المكان ،
فعلى المنضدة ، وجدت صندوقاً من السجائر الخاصة
بها ، وفى المبرد كانت تستقر دمسجة من زجاجات
العصائر ، التى تميل إليها ، وحتى الكتب القليلة فى
المكتبة ، كانت كلها من مؤلفات كتابها المفضلين ..

باختصار ، كان المكان معداً خصيصاً لمعيشتها ،
فى دقة أدeshتها ، وجعلتها تتساءل :

- ترى أين أنا بالضبط ؟.. ومن وضعنى هنا ؟
لم تكد تتم تساؤلها ، حتى سمعت دقات هادئة على
باب الردهة ، مع صوت يقول بالإيطالية :

- دونا (كارولينا) .. هل تسمحين لى بالدخول ؟
كان الصوت هادئاً ، واللهجة مهيبة للغاية ،
فتراجعت قائلة :

- وهل أملك اتخاذ القرار حقاً ؟

أجابها صاحب الصوت :

- بالتأكيد يا سيدتى .. هل تسمحين لى بالدخول ،

نعم أنصرف ؟

كان من الواضح أنها لم تنس أنوثتها بعد ، على
الرغم من زعامتها لكل منظمات (النافيا) ، فقد
أسرعت إلى مرآة قريبة ، وتأكدت من حسن هنداسها ،
وتصفيفة شعرها ، وبقياء الطلاء على شفتيها ، قبل أن
تقول :

- تفضل بالدخول .

وتعلقت بصرها بالبواب ، الذى افتتح فى رفق ، وأطل
منه رجل أبيض ، هادئ الملامح ، دلف إلى المكان
بابتسامة وسيمة ، وهو يقول :

- كيف حالك يا دونا ؟.. تقبلنى اعتذارى للوسيلة
التي استخدمناها ، لإحضارك إلى هنا ، ولكننى أتعظم أن
تكونى قد حصلت على قدر كاف من الراحة فى
ضيافتنا .

هتفت محنقة :

- ضيفتك ؟.. هل تعتبر هذا مجرد ضيافة ؟..
المضيف لا يختطف ضيفه أبداً يا صاح ، ولا يقوم
بتخديره ليبلع نك .

حافظ الرجل على ابتسامته وأسلوبه المهدب ، وهو يقول :

- كنا مضطربين ؟

سأنته في حيرة :

- وما الذى اضطرركم لهذا ؟

أخرج من جيبه ورقة ، تاولها إياها ، قائلاً :

- هذه .

اختطفت الورقة من يده فى لهفة ، وطانعتها فى سرعة ، ثم ارتسمت الدهشة البالغة على وجهها ، وهى تهتف :

- رباه !.. هل يعنى هذا أنكم ...

قاطعها الرجل ، وهو يضع بطاقته أمامها ، قائلاً :

- نعم يا دونا (كارولينا) .. إنه يعنى ما فهمتيه

بالضبط .

وحدقت دونا فى البطاقة طويلاً ، وقد بدا لها الأمر

مدهشاً ..

مدهشاً للغاية ..

* * *

بدا دون (ميديتشى) شائراً للغاية ، وهو يقطع

حجرة مكتبه جيئةً وذهاباً ، ويقول فى حدة :

- لست أفهم ما حدث أبداً .. كان المفروض أن

يقوم رئيس الشرطة بالتخلص من (كارولينا) ، على

أن يبدو الأمر أشبه بالحادث ، ولكن بعضهم سبقه إلى

التحرك ، واختطف دونا ، فمن يكون هذا المختطف ؟!..

ولماذا فعل ما فعل ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء :

- ربما كانت عصابة منافسة .

التفت إليه (آرتى) فى حق ، قائلاً :

- هذا يثبت أنك لا تفقه شيئاً عن عالم (المافيا) .

أجابه (أدهم) فى برود :

- على الأقل أنا أعلم الكثير عن عالم الأوغاد .

ضم (آرتى) قبضته ، قائلاً فى حدة :

- هل تظن هذا ؟

وهنا صاح فيه (ميديتشى) فى غضب :

- كفى .. قلت : إننى لن أسمح بالمشاجرات

ثانية .. ألا يمكنكم تقدير الأمر .. لقد انطلق جرس

الإنذار المتصل بالخزانة ، لأول مرة منذ أكثر من

عشر سنوات ، وهذا يعنى أن شخصاً ما قد تسلل إلى

هنا ، وعلاهما يفهم الآخر بأنه المسئول عن هذا ، وفى

الثوقت نفسه اختطف أحدهم دونا (كارولينا) بعملية

بالغة الجرأة، من قلب (نيويورك)، بعد أن خسر كل حراسها، وهذا يعني أننا نواجه موقفاً لا مثيل له، وأن الحرب قد اشتعلت بالفعل، ولم يعد هناك مجال للعبث أو المشاحنات الداخلية.

أشار (آرتي) إلى (أدهم)، وهو يهتف:

- صدقتي يا دون .. صدقتي قبل قوات الأوان ..

هذا القادم الجديد هو المسئول عن كل هذا .. مرني بقلته يا دون، قبل أن ينهار كل شيء، أو ابعده عنك في هذه الظروف على الأقل.

هتف (ميديتشي):

- كفك غيرة وحقدًا يا (آرتي) .. هل نسيت أن

(هوراشيو) قد خاطر بحياته لإنقاذ هذا الصباح، وأنه تحرك قبل أن يستأن أحدكم مسدسه؟ ماذا كنا سنفعل، لو لم يكن موجودًا؟

اعتصر (آرتي) قبضته في ثورة، وهو يقول:

- فليكن يا دون .. فليكن .. لا تقل يوماً إني لم أحرك.

لم يكذب عبارته، حتى ارتفع رئيس الهاتف الداخلي للقصر، فضغط (ميديتشي) زر الاستماع، قائلاً في عصبية:

- ماذا هناك أيضاً؟

أتاه صوت حارس البوابة، قائلاً:

- مستر (برنارد) هنا مع سكرتيرته، ويصر على رؤيتك فوراً يا دون.

رفع (ميديتشي) حاجبيه في دهشة، وهو يهتف:

- (برنارد) ١٢ .. ماذا أصاب الجميع هذه الليلة ١٢ ..

ألم ينم أحد في (نيويورك) بعد ١٢؟

ثم أجاب حارس البوابة:

- دعه يأتي، ولتر ماذا يريد أيضاً.

شعر (أدهم) بشيء من القلق، لقدوم (برنارد)

في هذه الساعة المتأخرة، ولكنه حافظ على هدوئه،

وهو يسأل (ميديتشي):

- هل تعتقد أن لديه بعض المعلومات بخصوص

اختطاف دونا يا دون؟

عقد (ميديتشي) حاجبيه، وهو يقول:

- من يدري؟ .. ربما كان الأمر كذلك، وعلى أية

حال، لن تمر دقائق معدودة، حتى يضع (برنارد)

بنفسه حداً لتساؤلاتك هذه.

كان المفروض بالفعل أن يستغرق (برنارد)

ما بين دقيقة ونصف ودقيقتين، ليصل بسيارته من

النيابة إلى القصر ، ولكنه استغرق بالفعل عشر دقائق
كاملة ، قيل أن يدلف مع سكرتيرته إلى حجرة مكتب
(ميديتشي) ، الذي استقبله قائلًا في عصبية :
- ما هذا يا (برنارد) ؟ .. هل كنت تستقل
سلحاء ؟

تجاهل (برنارد) وجود (أدهم) تمامًا ، وهو
يتوجه بحديثه إلى (ميديتشي) ، قائلًا :
- معذرة يا دون .. كان علي أن أأخذ بعض
الترتيبات أولاً .

هتف (ميديتشي) في دهشة مستمرة :
- ترتيبات ؟؟ .. في قصرى أنا ؟؟
أجابه (برنارد) :

- نعم يا دون .. إنها ترتيبات ضرورية للغاية ،
وأنا واثق من أنك ستشكرنى على اتخاذها كثيرًا ، عندما
تعرف سببها .

جلست (لينديا) على مقعد مجاور لمكتب
(ميديتشي) ، وراحت تنقر بأظفارها على سطح المكتب
الكبير ، و (ميديتشي) يسأل (برنارد) :

- وما سبب هذه الترتيبات يا (برنارد) ؟
أجابه المحامى فى شيء من الانفعال :

- لقد كشفت أمرًا غاية في الأهمية يا دون .
سأله (ميديتشي) فى لهفة :
- بخصوص اختطاف (كارولينا) .
تراجع المحامى كالمصعوق ، وهو يهتف :
- هل اختطفوا دونا (كارولينا) ؟
صاح به (ميديتشي) :

- لو أنك لا تعلم شيئًا عن هذا ، فما الذى يدعوك
لزيارتى ، فى الواحدة والنصف صباحًا ، وما الذى ...
قاطعه صوت صارم يجيب :
- جاء ليخبرك أننى لست (هوراشيو) الحقيقى
يا دون .

التفتت العيون كلها فى ذهول إلى (أدهم) ، الذى
وقف فى نهاية الحجرة ، وهو يصوب مسدسه إلى
الجميع فى صرامة ..

واتسعت عينا (ميديتشي) ، وهو يهتف :
- (هوراشيو) .. ماذا تقول ؟
أجابه (أدهم) ساخرًا :

- لا تخاطبني باسم (هوراشيو) التسخيف هذا
يا دون .. من الأفضل أن تخاطبني باسمى الحقيقى ..
اسم (أدهم) .. (أدهم صبرى) ..
وكانت مفاجأة للجميع ..

* * *

عندما وصل (برنارد) إلى قصر (ميديتشي) ،
ركز كل اهتمامه على تعبئة طاقم الأمن ، وتجهيز أكبر
قدر من المفاجأة لـ (أدهم) : حتى يضمن السيطرة
التامة على الموقف ، عندما يعلن حقيقة شخصيته ..
لذا فقد كانت صدمته عنيفة للغاية ، عندما جاءت
المفاجأة من نصيبه هو ..

ولا أحد يدري لماذا أعلن (أدهم) شخصيته على
هذا النحو ، وبهذا الأسلوب الصارم المبالغ ١٢ ..
هل استشف بخبرته أن (برنارد) ما كان ليأتى ،
فى هذه الساعة ، إلا لأنه توصل إلى حقيقة ١٢ ..
أو أن غريزته أنبأته بأن هذه هى اللحظة المناسبة
لهذا ؟
أم أنه هناك سبب آخر ..
سبب غامض !...

المهم أن (أدهم) قرّر فجأة كشف الأوراق كلها ،
مما فجّر حالة من الذهول فى حجرة مكتب
(ميديتشي) ، التى ازدحمت برجاله ، مع (آرتى)
و (برنارد) و (ليديا) ، واكتست بصمت مطبق ،
استغرق ثوان معدودة ، حتى خلالها الجميع فى وجه
(أدهم) ، قبل أن يصرخ (آرتى) :

.. كنت أعلم .. كنت أعلم أنك زائف ..

أجابته (أدهم) من آخرها :

.. أنت مجرد جيبى دسوى سخيف ، جاهل حتى
التخاع ، ولكنه يتصور نفسه أعلم العالمين ..
انتزع (برنارد) نفسه من المفاجأة ، فى هذه
اللحظة ، وقال :

.. مستر (أدهم) .. لا فائدة مما تفعله .. لقد أعددت
الأمر قبل أن أتى إلى حجرة المكتب ، لأجعل فرارك
مستحيلا .. من تعلم أنه هناك أربعة رجال يقفون خارج
باب هذه الحجرة ، حاملين مدافعهم الآلية ، ولديهم
أوامر مشددة بإطلاق النار عليك ، لو حاولت الخروج
من هنا ، دون أسر مباشر من (ميديتشي) ، وخارج
التأفذة يقف عدد مماثل ، مع أربعة كلاب مدربة ،
ولديهم الأوامر نفسها .. أضف إلى هذا طاقم الحراسة
الأصلى عند البوابة ، والأسوار العالية المتكهربة ، و ...
قاطعه (أدهم) ساخرًا :

.. خطأ أمتى آخر أيها المحامى .. لا تشرح خطتك
لخصمك قط .

أجابته المحامى فى عصبية :

.. إننى أشرحها لك ، لتعلم أنه لا فائدة من محاولة
الخروج من هنا .

نوح (أدهم) بسبابته ، قائلا :

- خطأ أيضا أيها المحاسي ، فلا توجد خطة أمنية بدون ثغرة ، ولقد أثبت هذا مرتين .

أجابته دون (ميديتشي) في غضب هادر :

- أثبتته مرتين في الدخول يا رجل ، ولكنك لن تفلح في الخروج ، إلا على جثتي .

جذب (أدهم) إبرة مسدسه ، قائلا في صرامة :

- فكرة لا بأس بها يا دون .

ثم وثب فجأة ، متجاوزا (آرتي) ورجاله ، ودفع

المحاسي جانباً في خشونة ، ثم أحاط عنق (ميديتشي)

بمساعدته في قسوة ، مستطرداً :

- دعنا نضعها موضع التنفيذ .

كان تحركه سريعاً مباغتاً ، حتى أن أحداً لم ينتبه ،

إلا وقد أصبح الزعيم في قبضة (أدهم) بالفعل ، فصرخ

(آرتي) :

- اللعنة !.. ألف لعنة !.. كان المفروض أن نقلته

منذ البداية يا دون .

أجابته (ميديتشي) في غضب مختلق :

- لم تفت الفرصة بعد يا (آرتي) .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة ، وهو يقول :

- رابع يا دون .. مازلت تحتفظ بروح معنوية

عالية ، على الرغم من هذا .

أجابته (ميديتشي) في غضب :

- على الرغم من ماذا يا رجل !.. صحيح أنك

تسيطر على .. ولكنك مازلت داخل قصري ، وكل من

يحيطون بك من رجالي المختصين ، وبعضهم أبنائي أو

أحفادي ، ولا أحد مسموح لك بهزيمة العائلة في عقر

دارها قط ، حتى ولو كان الثمن هو حياتي نفسها .

هتفت (ليديا) في ارتباك :

- رباه .. مستحيل يا دون !.. من سيجرؤ على

التضحية برب العائلة .

صاح فيها (ميديتشي) :

- ليس هذا من شأنك يا امرأة .

ولكنها واصلت في دعر :

- لا يمكنني تخيل هذا قط !.. لا يمكنني أن أتصور

أن يقتل الرجال زعيمهم ، لمجرد التخلص من جاسوس

واحد .

ومع قولها ، دفع (أدهم) (ميديتشي) نحو الباب ،

وهو يلصق مسدسه برأسه ، قائلا في صرامة :

- أنا أيضا لا أتصور هذا يا عزيزتي (ليديا) ،

ولكن لن يضيرنا أن نضع الأمر موضع الاختبار .

ثم ضرب الباب بقدمه ، صائحاً :

- ابتعدوا ، وإلا نسفت رأسه ككرة مجوفة .

ولم يكد بصر الرجال يقع على (أدهم) ، وهو يسيطر على الزعيم ، حتى خفضوا قوّهات مدافعهم الآلية ، وتراجعوا في توتر ، فاستل (آرني) مسدسه ، وهو يقول في غضب :

- اللعنة !.. لن يغادر هذا الحقيير القصر أمام عيوننا هكذا .

ولكن المحامي هتف به :

- رويديك يا (آرني) .. لن يفكر لك مخلوق واحد لو أصبت الذون ، ولو بخش بسيط .

قهقه (أدهم) ضاحكاً : وهو يدفع (سيديتشي) نحو السلم ، قائلاً :

- هل سمعت يا دون ؟.. نفس ما توقعته بالضبط .. إنهم يفضلون فراري ، على أن يصيبوك بأدنى ضرر .
صاح الزعيم في حلق شديد :

- مخطئون .. إنهم لا يعرفون الكثير عن طباع الصقليين يا رجل .. وبخاصة الصقليين القدامى .. إنهم يفضلون الموت ، على الشعور بأن خصماً أمكنه السيطرة عليهم .

ثم ارتفع صوته ، وهو يصرخ في ثورة جنونية :
- لا تقتلوا هكذا كالأوغاد .. أطلقوا النار .. أطلقوا

النار حتى ولو قتلتموني .. المهم ألا تسمحوا له بالفرار .

ولكن المحامي صرخ بدوره :

- لا لا تفعلوا هذا .. من أثار أن تقتلوا زعيمكم .

ارتبك الرجال واضطربوا ، إزاء هذه الأوامر المتضادة ، واستقر (أدهم) هذا الارتباك ، ليدفع (سيديتشي) نحو السلم أكثر وأكثر ، وهو يراقب الرجال في حذر ..

وفجأة ، انطلقت من خلفه رصاصة ..

رصاصة أطلقها أحد حراس القصر ، من أسفل السلم ، استقرت في ذراع (أدهم) اليسرى ، فاستدار بسرعة مذهشة ، وأطلق نيران مسدسه على الرجل ، و (آرني) يصرخ :

- إتبا فرصتكم .. هاجموا .

وفى نفس اللحظة التي أطاحت فيها رصاصة (أدهم) بمسدس الرجل ، انزلق دون (سيديتشي) من ذراعه المصابة ، وألقى نفسه أرضاً ، صارخاً :

انتفض فجأة مؤشر جهاز رسم الإشارات المخية ،
المتصل برأس (منى توفيق) ، فى حجرة العناية
الفائقة ، فى ذلك المستشفى فى (نيويورك) ، وراح
يرسم منحنيات حادة عنيفة ، جعلت الممرضة تهرع إلى
الطبيب المعالج ، هاتفة :

- أسرع يا سيدى .. هناك أمر عجيب يحدث هنا .
اندفع الطبيب أمامها إلى الحجرة ، ولحق به ثلاثة
أطباء آخرون ، وراح الثلاثة يفحصون (منى) فى
اهتمام شديد ، قبل أن يقول أحدهم فى حيرة ، وهو
يتطنّع مرة أخرى إلى منحنيات الجهاز الحادة :

- عجبا !.. كل شيء فيها يعمل بما يتناسب مع
غيوبيتها العسيفة .. النبض لا يتجاوز ثلاثين نبضة فى
الدقيقة الواحدة ، وضغط الدم معتدل ، وحتى معدلات
التنفس وحركة الجفنين ، فما سر هذه الإشارات
الفائقة ، التى تنطلق من مخ ، يفترض أنه غارق فى
سبات عميق ؟

أجابه أحد زملائه فى حيرة مشابهة :

- لا أحد يدرى .. وهى ليست المرة الأولى ، التى

- اطلقوا النار يا رجال .

وقبل أن تكتمل صرخته ، كانت فوهات المدافع
الآلية قد ارتفعت نحو (أدهم) بالفعل ..
وانطلقت النيران كائسيل .

* * *



يحدث فيها هذا .. هناك عامل مجهول ، يستحث عقلها فجأة ، من أن إلى آخر ، فيبث في مخها نشاطاً غامضاً ، لا يتناسب أبداً مع حالتها المستقرة .
ساله آخر :

- ألم تكتسبوا أبداً إلى هذا العامل المجهول ؟؟

هز الطبيب المعالج رأسه نقياً ، وهو يجيب :

- مطلقاً .. لقد فحصنا تلك الإشارات المستحثة عشرات المرات ، ولم نجد سبباً علمياً واحداً لحدوثها ،
و ...

قاطعهم فجأة صوت يقول :

- (أدهم) في خطر .

التفتوا إلى مصدر الصوت في دهشة ، ووقعت أبصارهم على (قبرى) ، الذى يقف بباب الحجره صاحب الوجه ، متطعاً إلى (منى) فى مزيج من الجزع والشفقة ، فسأله أحدهم فى عصبية :

- من أنت يا رجل ؟ وماذا تعنى بقولك هذا ؟

كرز (قبرى) فى حزم :

- (أدهم) فى خطر ، وهذا هو السبب .

بدت الحيرة على وجوههم بشدة ، ولكن كبيرهم أجاب فى حرج :

- مستر (قبرى) يتحدث عن المليونير (صبرى) .. (أدهم صبرى) ، الذى يتحدث ككالف علاج هذه الحالة ، وشقيق الطبيب العالمى الدكتور (أحمد صبرى) ، الذى يحضر لفحصها أسبوعياً .

لم يمح هذا الحيرة من وجوههم ، فسأله أحدهم :

- وما علاقة مستر (أدهم) هذا بما يصيب مخها ؟

أتاه الجواب على لسان (قبرى) ، وهو يقول :

- (أدهم) زميل لها فى عملها ، ولقد خاضا الكثير

معاً ، ولسبب ما ، فأن عقلها يستشعر كل ما يمر به

(أدهم) من خطر ، ويتفاعل على النحو نفسه فى كل

مرة .

ارتسمت الدهشة على وجوههم ، وهتف أحدهم :

- هذا غير علمى .

أجابه (قبرى) فى صرامة :

- ولكنه حقيقى .. ما تمر به (منى) الآن ، لا يعنى

إلا أمراً واحداً .. أن (أدهم) يواجه خطراً .

والتقى حاجباه فى صرامة أكثر ، وهو يضيق :

- خطراً داهماً ..

* * *

أكثر ما يتميز به (أدهم) ويميزه ، هو سرعة

استجابته المدهشة في مواجهة الخطر ، وقدرته
المذهلة على استيعاب الموقف الذي يواجهه ، والتعامل
معه بسرعة ومهارة ، يبهران العدو قبل الصديق ..
وفي تلك اللحظة ، على قمة سلم قصر دون
(ميديتشى) ، كان على (أدهم) أن يقيم الموقف
بسرعة ، ويتخذ قراره ، ويضعه موضع التنفيذ ..
ولكن بشرط واحد ..

ألا يتجاوز هذا نصف الثانية ..
والمدهش أن (أدهم) قد حافظ على هذا الشرط
تماماً ..

لقد رأى (أدهم) قوهات المدافع الآلية ترتفع
نحوه ، فاستد بیده على حاجز السلم ، وعبره بقفزة
مدهشة إلى الفراغ ، وترك جسده يسقط حراً من ارتفاع
أربعة أمتار ، وما إن لامست قدماه أرض الردهة
المفلتة ، حتى انثنى جسده ، ثم الفرد ، ووثبت قدمه
تركل الحارس في وجهه بكل قوتها ..

وقبل أن يسقط جسد ذلك الحارس ، كان (أدهم)
يتجاوزه بقفزة أخرى ، ومن خلفه صوت (آرسي)
يدوي :

- اقتلوه .. مزقوه إرباً .. لا أريد أن يتبقى منه
ما يكفي لفحصه .

وانفع حاملوا المدافع الآلية نحو حاجز السلم ،
وراحوا يطلقون نيرانهم في غزارة ، ولكن (أدهم) كان
قد بلغ الباب بالفعل ، والرصاصات تطارده ، على
أرضية الردهة الرخامية ، فوثب خارج المكان ، وهو
يهتف :

- خسرتم أيها الأوغاد .. ربما في مرة قادمة .

رأى رجلين يندفعان نحوه ، ويبد كل منهما مدفع
آلي ، فوثب في الهواء ، ودار بجسده دورة رأسية
بارعة ، ليهبط أمامهما مباشرة ، وهو يقول :

- أنتكما عمل عاجل ؟

قالها وهو يحطم فك أحدهما بلكمة ساحقة ، ثم يشب
ليركل آف الثنى بقدمه ، ثم اتحنى يلتقط مدفع
أحدهما ، هاتفاً :

- ماذا أصاب جانبيتي هذا المساء ؟! .. كل من يلتقى
بى يسقط فاقد الوعي !

أظن (آرسي) من نافذة حجرة مكتب (ميديتشى)
في هذه اللحظة ، وهو يصرخ :

- اتبعوه .. لقد خرج من الباب الرئيسي .

وضاع نصف هاتفه مع دوى رصاصات مدفع
(أدهم) ، الذي أسقط ثلاثة من الكلاب الشرسة ، وهو



وحذاء نصف حذاء مع دوى وجانبات مدفع (أدهم) ، الذي

أسقط ثلاثة من الكلاب الشرسة ..

يعدو عبر الحقيقة ، متجهًا نحو المولد الكهربى
الإضافى ..

وفهم (آرتى) ما يسعى إليه (أدهم) على الفور ،
فصرخ :

- امنعوه .. امنعوه بأى ثمن .

ولكن (أدهم) واصل انطلاقه نحو المولد
الكهربى ، والرصاصات تنتثر من حوله كالمدى ، وراح
يطلق النار على التوصيلات الرئيسية للمولد ، وهو
يهتف ساخرًا :

- لا داعى للأضواء والهتاف يا رجال .. إلتنى أميل
لنعمل فى صمت .. وظلام .

تسفت رصاصاته كابلات التوصيل الرئيسية للمولد
الاحتياطى ، فساد الظلام بقعة ، وتوقف الرجال فى
حيرة ، جعلت (آرتى) يشد شعر رأسه فى ثورة ،
صارخًا :

- لا تسمحوا لهذا بأيقافكم .. واصلوا تبحث عنه ..
سأكافى من يظفر به .

ولكن بون (ميديتشى) أشعل سيجارته فى
عصية ، ونفت دخاتها وسط الظلام الدامس ، الذى غمر
المكان ، وهو يقول فى حدة :

- إننا نتعامل مع خبير يا (آرتى) .. إنه يعرف هدفه جيدا .. لقد اتجه نحو المولد الاحتياطي مباشرة ، ليقطع التيار عن المكان كله ، وينغى عمل أجهزة الإنذار ، والأسوار المكهربة ، وأجهزة المراقبة .. إنه خطأ أمنى آخر أن نترك المولد مكتشفا هكذا .
أجابيه (آرتى) فى حق :

- فليكن يا دون .. يمكنك اعتباره الخطأ الأخير .. سنشغل المولد اليدوى خلال دقائق خمس ، وستعود الأضواء لتغمر القصر والحديقة ، وعندئذ أعدك أن نوقع به يا دون .. لن نسمح له بالإفلات منا أبدا ، ولن ...

قبل أن يتم عبارته ، دوى انفجار مكتوم ، فى نهاية الحديقة ، فصرخت (ليديا) :
- ما هذا ؟

أجابها المحامى متوترا :
- لقد نسف السور الشرقى .

هتف (آرتى) :

- مستحيل !.. أسوار القصر كلها مزدوجة ، والفراغ بينها مزروع بالكغام ، ولا أحد يمكنه عبورها ، حتى عندما ينقطع التيار الكهربى .

أمسكه (ميديتشى) من عنقه فى عصبية ، وهو يقول :

- هل ستقضى وقتك كله فى التحدث إلينا ، وشرح قوة الأمن هنا ؟ .. هيا اذهب وابحث عن ذلك الشيطان .. لا تسمح له بخداعتك للمرة الثالثة .
عض (آرتى) شففيه فى غيظ ، وهو يقول :

- لن يفعل يا دون .. لن يفعل .
قالها ، وجذب مشط ممدسه ، واندفع خارج الحجرة ، فقال (ميديتشى) فى غضب :
- كيف أمكنه خداعى ؟
أجابيه المحامى فى حدة :

- لقد حذرتك يا دون ، ولكن من الواضح أن أسلوب ذلك الرجل أبهرك للغاية ، حتى أنك تجاهنت كل ما تتميز به من الحيلة والحذر ، وأسندت إليه مهمة حراستك الشخصية .
قلب (ميديتشى) كفيه فى حيرة غاضبة ، وهو يقول :

- لقد نجح فى كسب ثقتى بالفعل ، حتى أننى لا أفهم ما الذى يسعى إليه بخداعى على هذا النحو .. لقد كانت أمامه الفرصة لقتلى مرتين ، فلماذا لم يفعل ؟ .. وما الذى يريد أكثر من هذا ؟

أجابته (ليديا) بسؤال شارد :

- نعم .. ما الذى يريد أكثر من هذا ؟

قال المحامى فى توتر :

- إنه صديق لدونا (كارولينا) ، وهذا يكفى لمعرفة

ما يسعى إليه .

التفت (ميديتشى) إلى مصدر الصوت ، قائلاً :

- إذن فلديك جواب لتساؤلاتنا .

انقضت الغيوم عن القمر ، فى هذه اللحظة ، فغمر المكان بضوئه الفضى ، وكشف ملامح المحامى ، وهو يجيب فى صرامة :

- نعم يا دون .. ندى جواب لتساؤلاتكم .. لقد كان هذا الرجل جاسوساً من قبل دونا (كارولينا) ، لتحديد خطواته التالية ضدها .

هتف (ميديتشى) :

- فقط ؟ .. لا يمكننى أن أقتنع بهذا يا (برنارد) ..

نقد سعى هذا الرجل لدس ألفه فى شئونى لغرض أكثر أهمية .

اندفعت (ليديا) تقول :

- أنا واثقة من هذا .

التفت إليها (ميديتشى) بحركة حادة ، ونفت آخر
نخان سيجارته ، وهو يقول :

- عجباً ! .. إنك تبدين اهتماماً غير عادى بهذا الأمر

يا (ليديا) !

رسمت (ليديا) على شفيتها ابتسامة جذابة ، وهى

تقول :

- كن ما يهيك يهمنى يا دون .

ومع آخر حروف كلماتها ، سطعت الأضواء فى المكان ، مع هدير المولد اليدوى ، فهتفت :

- مرحبى .. عادت الأضواء .

أسرع دون (ميديتشى) إلى النافذة ، وهو يقول

فى اتفعل :

- هذا يجعل فرصتهم بذلك الرجل أكبر .

كان واثقاً تمام الثقة من أن رجاله سيظفرون حتماً
به (أدهم) ، ولكن ثقته هذه راحت تهتز رويداً رويداً ،

كلما مرت الدقائق ، دون أن يعطى الرجال نجاحهم فى
هذا ، وعندما وصلت هذه الدقائق إلى نصف الساعة ،

كانت ثقته قد تلاشت تماماً ، وحل محلها غضب مادر ،

جعله يصرخ فيهم :

- إذن فقد هرب .. للمرة الثالثة نجح فى تجاوز

ذلك النطاق الأعلى ، الذي أكدت لى أنه ما من سبيل
لاختراقه .. لقد حظت سمعتنا الإنسية تماماً
يا (آرتى) .

عقد (آرتى) حاجبيه فى غضب ، وهو يقول :
- لست أدري كيف هرب يا دون .. لقد فتشنا
القصر والحديقة شبراً شبراً ، وانقبلة التى أصابت
السور لم تحطم منه سوى جزءاً صغيراً فى أعلاه ..
لا يصلح لعبور رجل مثله .. إنه أمر غير مفهوم أبداً .

لكمه (ميديتشى) فى جبهته ، وهو يصيح :
- الأمر الوحيد غير المفهوم هو مدى غباء رجالك
يا (آرتى) ، الذين عجزوا بأسلحتهم ، وكلاهم
المدرية . عن منع رجل واحد من الفرار من هنا .. إنهم
حتى لم يصيبوه سوى برصاصة واحدة ، لم تكف لكسر
نشاطه الجم .

قال (آرتى) فى حلق :
- هناك سر يكمن وراء فراره يا دون ، وسأبذل
قصارى جهدى لكشف هذا السر الغامض ، و ...
قاطعه (ميديتشى) فى غضب :
- كلاً .. إنك لن تبذل قصارى جهدك إلا فيما أسنده
إليك .. لا تحاول التفكير مرة أخرى .. فقط نفذ
الأوامر .. هل تفهم ؟.. نفذ الأوامر فحسب .

كاد (آرتى) يلتهم شفثيه غيظاً وقهراً ، وهو
يقول :

- كما تأمر يا دون .. كما تأمر .
أشار إليه (ميديتشى) بذراعه ، قائلاً :
- هيا .. انصرفوا .. لم أعد أطيق رؤية أحدكم .
غادروا الحجرة يجرون أذيال الخيبة ، فى حين قال
المحامى :

- لا تجعل الأمر يفضبك إلى هذا الحد يا دون ،
فحتى لو كان هذا الرجل قد نجح فى الفرار ، فإننا
منعاه من تحقيق هدفه الرئيسى على الأقل .

قأن (ميديتشى) فى حلق :
- آه .. هذا لو أننا نعرف هدفه الرئيسى .
قال (برنارد) فى حزم :

- سأبذل قصارى جهدى لمعرفة يا دون .
نوح (ميديتشى) بسبابته نفيماً ، وهو يقول :
- كلاً يا (برنارد) .. لا أريدك أن تبذل قصارى
طاقتك فى هذا الأمر ، فأسند إليك مهمة أكثر خطورة ،
تحتاج إلى كل قطرة جهد فى جسدك .
والعقد حاجباًه فى شدة ، وهو يستترد ، ملوحاً
بقبضته :

- أريد أن أعرف من هؤلاء الذين أقدموا بكل
الجرأة على اختطاف دونا (كارولينا) ، على هذا النحو
المستفز .. من يا (برنارد) ؟ .. من ؟؟
نعم .. من ؟

* * *

« المخابرات المصرية ١١؟ ... »

لو أننا منصفون حقًا ، نوضعا ألف علامة تعجب ،
بعد هذه الكلمة : التي شهقت بها دونا (كارولينا) ،
وهي تحدث في البطاقة ، التي قدمها لها ذلك الرجل
الوسيم ، قبل أن ترفع عينيهما إليه ، هاتفة :
- أنتم اختطفتموني ؟؟ .. ولكن لماذا ؟؟ لماذا تسعى
المخابرات المصرية لاختطافي ؟؟ .. المقروض أن بيننا
اتفاق .

أجابها الرجل في صرامة ، لا تخلو من التهذيب :
- نحن لا نعقد أية اتفاقات مع منظمات غير رسمية
يا سيدي ، ولكننا نحترم تعاقبات بعضنا البعض ، وكل
ما فعلناه كان من أجل سيادة العميد (أدهم صبرى) .

تضاعفت دهشتها ، وهي تهتف :

- (أدهم) طلب منكم اختطافي ؟؟

جلس الرجل على المقعد المقابل لها ، وهو يجيب :

- ليس بالضيق . ولكن سيادة العميد أرسل برقية
إلى مكتبنا هنا ، يطلب منا فيها العمل على تحذيرك ، أو
إنقاذك من مؤامرة دنيئة ، تستهدف القضاء عليك ،
بوساطة رجال الشرطة الرسمية ، لحساب دون (ألبرتو
ميديتشي) ، بحيث يبدو الأمر أشبه بحادث عارض ،
ولقد حاولنا تحذيرك بالفعل ، ولكنك كنت تتجاهلين رنين
الهاتف طوال الوقت ، وتحيطين نفسك بطاقم حراسة
متمسك ، يصعب التفاهم معه ، لذا فلم يكن أمامنا سوى
أن نتحرك بسرعة ، ونفعل ما فعلناه .

فغرت فاما مبهورة ، وهي تقول :

- هكذا ، بكل بساطة ؟؟

ثم اعتذرت ، تسأله في لهفة :

- قل لي يا رجل .. هل يقبل هؤلاء الذين نفذوا

عملية اختطافي الرابعة هذه ، العمل لحسابي ؟

ابتسم وهو يهز رأسه نفيًا ، قائلًا :

- ولا بأموال الدنيا كلها يا دونا .

قالت في إصرار :

- هل لك أن تسألهم أولاً ؟

أجابها في هدوء :

- إنني أعرف الجواب مسبقًا .

بدت عليها خيبة الأمل ، وهي تتراجع في مقعدها ،
مغمضة :

- يا للخسارة !

ثم اعتدلت مرة أخرى في حدة ، مستطردة :

- إن فدون (ميديتشي) اللعين يخطط لقتلى !!

لقد تصوّرت أن وجودي في (نيويورك) سيمنعه من
هذا ، فهو يسعى للزعامة ، ويعلم جيدا أن القاتنون
سيحرمه هذا الشرف ، لو أنه تسبّب في مقتل الزعيمة
الحالية .

أجابها ببساطة :

- من العسير على بعض الناس أن يتنازلوا عن
طموحاتهم وأحلامهم ، مهما كانت الصعوبات .

ضربت مسند المقعد بقبضتها ، هاتفة :

- ساحط هذه الطموحات والأحلام إذن .

ونهضت لتتقط سيجارة ، من صندوق المسجائر

على المنضدة ، وأشعلتها مستطردة :

- أين تتوقع وجود (أدهم) الآن ؟

صمت الرجل لحظة ، قبل أن يجيب :

- خبرتي السابقة في التعامل مع سيادة العميد

(أدهم) ، تؤكد أنه من العسير الجزم بمكان تواجده ،

في أية لحظة ، مهما بدا العكس صحيحا .

كان جوابه عالما ، لا يحسم السؤال الرئيسي ..

أين (أدهم) الآن ؟

أين ؟

* * *

اتطلق المحامى (برنارد) بسيارته ، عائداً إلى

منزله ، وهو يقول لسكرتيته فى حلق واضح :

- لست أدري كيف فعلها رجل المخابرات المصرى

هذه المرة !.. لقد راجعت كل إجراءات الأمن بنفسى مع

(آرتى) ، الذى دفعه القصب إلى تفتيش القصر

والحديقة مرتين ، ولكننا لم نعثّر على أدنى أثر له .

أجابته (ليديا) ، وهى تسترخى فى مقعدها ،

وتتفّت بخان سيجارتها فى بطة :

- أعتقد أنه كان على حق ، فالجميع يجهلون

قواعد الأمن تماما .

قال فى غضب :

- تحدثين كما لو كنت خبيرة فى هذا .

ابتسمت محاولة إخفاء سخريتها ، وهى تقول :

- آنا ؟.. وما صلتى بالأمن ؟

اتعقد حاجباه ، وهو ينطلق لحظات فى صمت ، قبل

أن يقول :

- هل تعلمين .. إننى أتفق مع (آرتى) فى أنه يوجد سر غامض ، خلف هذا الأمر .
أسبلت جفنيها ، قائلة :
- هل يقتلك (آرتى) هذا ؟
أجابها فى توتر :
- إنه خبير فى مجاله على الأقل .
أشاحت بوجهها ، لتخفى ابتسامتها الساخرة ، وهى تقول :

- أى مجال هذا ؟ .. القتل ؟؟ .. ما الخبرة التى يمكن أن تكتسبها ، من إراقة أنهار الدم بلا توقف ؟
مط شفتيه فى ضيق ، دون أن يجيب ، ثم قال :
- لست مستعداً لمحاورتك هذه الليلة يا (ليديا) ..
لقد اقترب الفجر ، ولم أُنقِ طعم النوم بعد ، وكان يومى متوتراً بشدة ، سأوصلك إلى منزلك ، ثم أعود إلى منزلى ، لأحظى بقدر من النوم ، و ...
قاطعتها ، وهى تربت على كفه فى رقة :
- كلا أذهب أنت إلى منزلك ، وسأعود بالسيارة وحدى إلى المنزل ، وأرسلها إليك فى الصباح مع حارس البناية .
تنهدت قائلاً :

- نعم .. هذا أفضل .
وواصل طريقه حتى بلغ منزله بالفعل ، ثم تركها تبعد وحدها بالسيارة ، ولم تكد تقطع عدة أمتار ، بعيداً عن المنزل ، حتى ابتسمت قائلة :
- حسن .. يمكنك أن تنهض الآن .
ومع قولها ، نهض شخص ما من قاع السيارة ، خلفها تماماً ، وجلس على الأريكة الخلفية ، وهو يبتسم فى هدوء ..
وكن هذا الشخص هو (أدهم) ..
(أدهم صبرى) .

* * *



١١- كشف الأوراق ..

استقرت إشارات المخ على نحو مثير للارتياح ،
جعل الأطباء المحيطون بفراش (منى) يتنفسون
الصعداء ، ويجففون عرقهم ، وأحدهم يقول :
- أخيراً .. تصوّرت أن هذا لن يحدث أبداً .
غمغم (قدرى) ، الذى بدأ مجهداً ، وكأنه خاض
معركة عنيفة :

- لا ريب أن (أدهم) قد تجاوز مرحلة الخطر .
رمقه الأطباء بنظرة حائرة : لأنه نطق العبارة
بالعربية ، فرفع عينيه إليهم ، وكرّرها بالانجليزية ، فمط
معظمهم شفثيه ، وتبادلوا نظرة مشفقة ، قبل أن يربّت
أجدهم على كتفه ، قائلاً :
- مستر (قدرى) .. يؤسفنى أن أحطم معتقداتك
على هذا النحو ، ولكننى لا أومن بحرف واحد
مما نطقت به .. التفسير الذى تقوله غير علمى على
الإطلاق ، ولا يستند حتى إلى نظريات قديمة أو
حديثه .. لا يوجد مركز واحد فى المخ ، يمكنه استقبال
مشاعر الخطر عن بعد .

ثم ابتسم فى سخرية ، مستطرداً :

- إلا فى سينما الخيال العلمى بالطبع .

سرت موجة من الضحك بين الأطباء ، وانتظر
(قدرى) حتى تلاشت ، ثم سأل ذلك الطبيب فى حدة :
- قل لى أيها العبقري : أين يقع ذلك المركز فى
المخ ، الذى يجعل الأم تنفض فُجأة من نومها ، وتسرع
إلى حجرة ابنها ، لتجده على وشك السقوط من
فراشه ١٢ .. أين المركز المسئول عن الآمال والطموحات
البشرية ١٣ .. أين البقعة التى تحرك المشاعر
والانفعالات ١٤ .. أى جزء من المخ مسئول عن أحلامنا
وكوابيسنا ١٥ .. أية خلايا تلك ، التى تجعلنى أميل إلى
شخص فور رؤيته ، وأبغض آخر ، قبل أن ينبس ببنت
شفة ١٦

ارتبك الطبيب ، وهو يغمغم :

- أبحاث ودراسات المخ لم تتوقف قط ، ويوماً ما ،
سيكشفون الخلايا والأجزاء المسئولة عن كل هذا .
تهض (قدرى) ، قائلاً :

- حقاً ١٧ .. لا تمن إنن ، عندما يبلغونك بكشفها ،
أن تسألهم عن تفسير ما يحدث نصديقتنا (منى) .
ثم غادر المكان فى هدوء ، تاركاً الطبيب خلفه
يتصبب عرقاً ..
وخرجاً ..

* * *

تسللت (ليديا) على أطراف أصابعها إلى حجرة النوم الإضافية في شقتها، وارتسعت على شفتيها ابتسامة حائية، وهي تتطلع إلى (أدهم)، الذي استغرق في نوم عميق، وتمتعت في انبهار حالم:
- يا لك من رجل!

والقربت من فراشه في خفة، ووقفت تتطلع إلى ملامحه لحظة، ثم انحنت لتطبع قبلة على شفتيه، ولكنها قبل أن تلمسه، فوجئت به يتراجع في حركة حادة، ويختطف مسدسه من أسفل الوسادة، ويصوبه إليها في صرامة، فشبهت متراجعة بدورها، وهتفت:
- رويك يا رجل.. إنه أنا.

عقد (أدهم) حاجبيه في ضيق، عندما رأى ذلك القميص القصير الذي ترتديه، وقال:

- كم الساعة الآن يا (ليديا)؟

أجابته مقتربة منه في حذر:

- الثامنة.. ولقد أعددت القهوة والإفطار.

ثم ألقت ذراعيها حول عنقه، هامسة:

- هل نمت جيدًا؟

أبعد ذراعيها عن عنقه في رفق حاسم، ونهض

من فراشه، قائلاً:

- اعتقد أنني أدين لك بالشكر يا (ليديا).

استلقت على الفراش في دلال، قائلة:

- لم أفعل سوى ما يمينه على واجبي.

التقط معطفًا منزليًا، وألقاه إليها، قائلاً في نهضة

أمره حازمة:

- ارتد هذا، ما دمنّا نتحدث عن العمل.

صدمها موقفه، ولكنها أطاعته دون مناقشة.

وارتدت المعطف المنزلي، وهي تقول في ضيق:

- هل ستناول الإفطار الآن، أم نغتسل أولاً؟

أجابها في هدوء:

- بل سأغتسل أولاً، وأؤدي الصلاة، ثم ألحق بك

لنتناول الطعام معاً.

قالت في دهشة:

- تؤدي ماذا؟

أجابها في حزم صارم:

- الصلاة.. لا أبداً يومى بدونها أبداً.

فغرت قائما مشدوها لحظة، قبل أن تسط شفتيها،

وتهز كتفيها، قائلة:

- يبدو أن كل رجال المخابرات لا يشبهون (جيمس بوند) (*).

ابتسم (أدهم) ، قائلاً :

- ربما كان هذا هو سر نجاحهم في عالم الواقع .
لم يكن بإمكانها استيعاب منطقته بتاتا ، ولكنها تركته يقتسل ، ويؤدي صلاته في خشوع ، قبل أن يلحق بها لتناول الإفطار ، وعندما بدأت في ارتشاف قهوتها ، قال :

- دعيني أهنئك على أسلوبك البارع ، ففي الوقت الذي تصور فيه الجميع أن العصبية هي سبب نقرك بأظفارك على سطح مكتب (ميديتشي) ، أدركت أنا على الفور أنك ترسلين لي رسالة خاصة ، باستخدام إشارات (موريس) التلغرافية (**).

(*) جيمس بوند : شخصية خيالية ، من ابتكار البريطاني (آيان فليمنج) ، لرجل مخابرات بريطاني ، يخوض مغامرات مثيرة ، وسط أجواء خالصة ، ومؤثرات مذهلة ، ولقد تم تحويل معظم رواياته إلى أفلام سينمائية ناجحة .

(**) إشارات موريس : إشارات خاصة ، تستخدم لإرسال البرقيات ، عبر المسافات الطويلة ، وتعتمد على لغة من حرفين ، النقطة والشرطة ، وبترتيب النقاط والشرط ، تتكون الحروف والكلمات ، وفي عالم التلغراف يتم التعبير عن الكلمة بنبضة سريعة ، وعن الشرطة بنبضة متصلة .

هزت كتفها ، وهي تبسم قائلة :
- لم أكن لأفعلها ، لولا ثقتي في أنك ستفهمها على الفور .

ابتسم قائلاً :

- لقد حفظتها عن ظهر قلب أيضا .

ثم تراجع في مقعده ، وراح يعيد رسالتها :

- انتبه .. أنا عميلة فيدرالية أمريكية (*) .. لقد كشف (برنارد) أمرك ، ويعلم أنك رجل مخابرات مصري ، تحمل اسم (أدهم صبرى) .. إذا ما نجحت في الفرار من هنا ، ستجد نسخة من مفاتيح سيارة (برنارد) إلى جوار إطارها الأيسر الخلفي .. اختلف داخل السيارة ، بعد أن توهمهم بفرارك .

وعاد يبتسم ، مستطردا :

- ولم أشك لحظة واحدة في أمرك ، فالتمنطق الوحيد لتحذيري ، في مثل هذه الظروف ، هو أنك تبقيين إلقادي ، وهذا ما دفعني لقلب الأمور رأسا على عقب ، ومفاجأتهم قبل أن يفعلوا .

هزت كتفها مرة أخرى ، قائلة :

(*) اتصال الفيدرالي : هو فاعل لدى بعض لاصاب الحكومة ، وله صلاحية الضبط القضائي .

- المفروض أننا نعمل في الجانب نفسه .

لَوْحٍ بسببته ، قللاً :

- هذا صحيح ، ولكن من زاويتين مختلفتين .

ارتشفت رشفة أخرى من القهوة ، وهي تتطلع إليه

في صمت ، ثم سألته :

- ما الذي تسعى إليه بالضبط يا (أدهم) ؟

أجابها في هدوء :

- إلى نفس ما تسعى إليه يا (ليديا) .. تحطيم

دون (ميديتشي) .

سألته في اهتمام :

- لحساب دون (كارولينا) .

مطت شفتيه دون أن يجيب ، فتراجعت في مقعدها ،

قائلة :

- ولماذا تتدخل المخابرات المصرية ، لحماية دون

(كارولينا) من أعدائها ؟

صمت لحظة ، ثم ارتشفت رشفة من قهوته ، قبل

أن يجيب :

- إنني أقوم بالمهمة على مسؤوليتي الخاصة ،

فهناك دين قديم ، بيني وبين دون ، وجدت أنها وسيلة

مناسبة لتسديده .

تطلعت إليه لحظة أخرى في صمت ، ثم ابتسمت

قائلة :

- هل اعتدت تسديد ديونك بهذا الأسلوب ؟

أجابها في حزم :

- من النادر أن أصبح مديناً لأحد .

مالت نحوه ، قائلة :

- ولكنك مدين لى بالفعل .. لقد أنقذت حياتك .

أجاب في هدوء :

- أعترف بهذا .

مالت نحوه أكثر ، حتى ارتطمت أنفاسها بوجهه ،

هامة :

- لا تقلق نفسك بهذا .. لدى وسيلة رائعة لسداد

الدين .

لهض من مقعده في هدوء ، وسألها :

- أخبريني يا (ليديا) .. أليدك أية معلومات ،

بخصوص (ميديتشي) ، بعد عملك الطويل مع

(برنارد) ؟

مطت شفتيها في ضيق ، وهي تعود إلى مقعدها ،

قائلة :

- لا يمكنني أن أكشف لك ما لدى من معلومات .

قال في صرامة :

- قلت إننا نعمل في جانب واحد .

أجابته في حدة ، وهي تلنقظ سيجارة من علبتها :

- ولكن هذه القضية هي فرصة عمري ، في الترقى

والتجاح .

أطلق ضحكة عالية ، قبل أن يقول :

- أعذا كل ما يفتك ؟

ثم مال نحوها ، مستطرذا :

- اسمعي يا (ليديا) .. يمكننا أن نعد اتفاقاً مناسباً

في هذه الحالة ، فأنت تسعين للتجاح في قضيتك ، وأنا

أسعى فقط للتعمير (ميديتشي) .. ما رأيك لو تعاوننا

على تحطيمه ، ثم أنسب الفضل كله لك رسمياً .

هتفت في دهشة :

- وهل يمكنك أن تفعل هذا حقاً ؟

اعتدل يجيبها في حسم :

- هل رأيت من قبل رجل مخابرات ، يميل إلى إعلان

عمله ؟

عكنت حاجبها ، وهي تفكر في الأمر بعمق ، قبل

أن تقول :

- اتفقنا .

وصافحته في قوة ، ثم قانت في اهتمام :

- أفضل ما لدى من معلومات هو أن (ميديتشي)

متورط في عدد من عمليات تهريب وتجارة المخدرات ،

ويتعامل في السوق السوداء للسلاح ، داخل الولايات

المتحدة الأمريكية (*) ، ولكننا عجزنا عن إثبات أية تهمة

عليه ، على الرغم من أنه يحتفظ بوثائق ومستندات

تدينه بشدة ، إلا أننا لم نستطع العثور عليها قط ، ولقد

استدرجت (برنارد) نيبوح لى ببعض أسرار

(ميديتشي) ، ولكن كل ما قتله أن هذا الأخير يحتفظ

بهذه الوثائق والمستندات في خزانة سرية خاصة ، في

حجرة مكتبه ، لا يعرف سراً سوى التدون نفسه ،

ولا ييوح به لأحد قط ، حتى محاميه وحارسه الخاص .

عقد (أدوم) حاجبيه ، وهو يستعيد المشاهد

الأخيرة ، داخل حجرة مكتب (ميديتشي) ، ثم قال :

- ربما نجحت محاولة جديدة في كشف السر

يا (ليديا) .

سأنته متلهدة في أسى :

(*) على الرغم من أن تجارة الملاح عمل رسمي في (أمريكا) ،

إلا أن العديد من يفضلون شراء أمتعتهم دون مستندات ملكية ، من

السوق السوداء هناك .

- ومن يقوم بهذه المحلولة ؟

التفت إليها ، قائلاً في حزم :

- أنا .

ارتفع حاجباها في دهشة ، وهي تهتف :

- أنت ؟ .. هل جئت ؟ .. لن يمكنك أبدا دخول

قصر دون (ميديتشي) ثانية .. إنهم سيضاعفون

إجراءات الأمن حتما ، وسيصبحون أكثر توترا

وحساسية .

ابتسم وهو يقول :

- هذا بالنسبة للزائرين العاديين فحسب .

سألته في حذر :

- وكيف يمكنك إقناعهم بأنك لست زائرا عاديا ؟

اتسمت ابتسامته ، وهو يجيب :

- لدى وسائلتي الخاصة .

وحملت ابتسامته طنا من الثقة ..

ومن الغموض ..

* * *

فتح (برنارد) عينيه فسي صعوبة ، مع رنين

الهاتف المجاور لفراشه ، فمد يده يلتقط سماعته ،

ووضعها على أذنه ، وهو يقول في صوت متهاك

كسول ، لم يفارقه النوم بعد :

- من المتحدث ؟

أتاه صوت دون (ميديتشي) ، وهو يقول في حدة :

- أما زلت نائما حتى الآن يا (برنارد) ؟

هبط المحامي من فراشه ، وهو يقول في ارتباك ،

متطلعا إلى ساعته :

- إنها التاسعة فحسب يا دون ، وأنت تعلم أنني

غادرت قصرك متأخرا ، و ...

قاطعته (ميديتشي) في حدة :

- ولو .. الأمر لا يحتمل النوم يا (برنارد) .. أنت

تعلم أن أمامنا حربا طاحنة .. هيا .. استيقظ يا رجل ..

أريدك أن تلتقي بي بعد نصف الساعة ، أمام المدخل

الشمالي لنحديقة العامة .. أسرع يا رجل .. الأمور لم

تعد تحتمل هذا التهاون .

سأته (برنارد) في دهشة :

- ولم لا نلتقي في قصرك .. أو في مكتبي مثلا ؟

صاح به (ميديتشي) غاضبا :

- لا تناقش أوامري يا رجل .. أنت تتقاضى مني

أجرا باهظا ، مقابل أن تنفذ ما أريد .

وأنهى المحادثة في عنف ، جعل (برنارد) يحدق

في سماعة الهاتف بدهشة ، قبل أن يعيدها إلى

موضعها ، مغمغا في حق :

— يا لسخافة العمل مع هذا الرجل !

ولكنه نهض يحلق ذفته ، ويغتسل ، ويرتدي ثيابه ، ثم هبط إلى مرآب البناية ، حيث وجد سيارته في موضعها ، فابتسم قائلاً :

— دقيقة هي (ليديا) دائماً .

واستقل السيارة ، وانطلق بها إلى المكان الذي حدده (ميديتشى) بالضبط ، وأوقف سيارته عند المدخل الشمالي للحديقة العامة ، وجلس داخلها يراقب المكان ، بحثاً عن سيارة (ميديتشى) ، ولكنه فوجئ بشخص يفتح باب السيارة ، ويجلس إلى جواره ، فقال في حدة :

— ماذا تفعل يا هذا ؟

التفت إليه ذلك الشخص بحركة سريعة ، وألمص فوهة مسدسه بجانبه ، وهو يبتسم في سرية ، قائلاً :

— يسعدني أنك وصلت في موعدك بالضبط يا عزيزي (برنارد) .. أنا أشق دائماً فيمن يحترم مواعيده .

واتسعت عينا (برنارد) في ذهول :

فعنى الرغم من أن ما سمعه كان صوت دون (ميديتشى) ، بلا أننى تغيير ، إلا أن الرجل الذي نطق

العبارة ، لم يكن يشبه الدون ، من قريب أو بعيد ..

لقد كان (أدهم) ..

(أدهم صبرى) ..

* * *

نفت دون (ميديتشى) بخان سيارته كبركان ثائر ، وهو يتطنّع إلى عقارب ساعته ، التي أشارت إلى العاشرة والتصف صباحاً ، ثم دق بيده على سطح مكتبه ، صائحاً في غضب :

— أين ذهب هذا المحامى اللعين !! .. هل زال من الوجود تماماً !! .. كيف لم تعثروا عليه حتى الآن ؟ أجابه (آرني) في توتر :

— لقد بحثنا عنه في كل مكان يا دون .. في مكتبه ، ومنزله ، وحتى في قاعة المحاكمات ، ولكنه اختفى تماماً .. لم يعد له أنى أثر .

نفت دون (ميديتشى) بخانه مرة أخرى في عصبية ، وهو يقول :

— اللعة !.. ألا يعلم أن الأمر معقد للغاية ، وأننى أحتاج إليه بشدة .. إن هاتفى لم يتوقف عن الرنين ، منذ الساعة صباحاً ، وكل الزعماء يتهموننى بأننى المسئول عن اختطاف بونا (كارولينا) ، ويحذروننى من عواقب هذا ، و ...

قبل أن يتم عبارته ، ارتفع رنين الهاتف ، فاحتقن وجهه ، وهو يتمتم :

- لا .. ليس ثانية .

والتقط سماعة الهاتف ، قائلاً :

- دون (ميديتشى) .. من المتحدث ؟

إزداد احتقان وجهه ، وهو يلوح بيده ، ويقول فى عصبية :

- صباح الخير يا دون (فرانشسكو) .. نعم .. نعم ..

نقد بنغى أمر اختطاف دون .. لا .. أقسم لك أنه لا يد

لى فى هذا الأمر .. كلاً يا دون (فرانشسكو) .. صحيح

أنها مدينتى . ولكنك تعرف (نيويورك) وعصابات

(نيويورك) .. لست أعنى أتى عاجز عن السيطرة

عليها ، ولكن .. آه .. نعم .. نعم .. بالتأكيد يا دون

(فرانشسكو) .. بالتأكيد .. سأبذل قصارى جهدى .

وأنهى المحادثة فى عنف ، صائحاً :

- لا بد وأن نجد (كارولينا) اللعينة هذه .. أكاد

أشك فى أنها التى دبرت أمر اختطافها المزعوم هذا ؟

لتضعنى فى هذا الموقف الحرج .. إن زعامتى للمنظمة

مهتدة بالقشل ، سالم نعثر عليها ، أو تكشف سر

اختطافها .

غمغم (آرلى) :

- إننا نبذل قصارى جهدنا بالفعل يا دون .

صاح (ميديتشى) فى وجهه :

- ابذل المزيد يا (آرلى) .. ابذل روحك نفسها ،

لو اقتضى الأمر ، ولكن لا تضعنى فى هذا الموقف .

ارتفع فى هذه اللحظة أزيز جهاز الاتصال

الداخلى ، مع صوت حارس البوابة ، يقول فى اهتمام :

- مستر (برنارد) وصل يا دون .

فقر (ميديتشى) يضغط زر الاتصال ، هاتفاً :

- أخيراً .. دعه يأتى على الفور يا رجل ، وقل له :

ألا يتوقف لحظة واحدة ، قبل أن يدخل مكتبى .

استمع حارس البوابة إلى الأمر ، وأنهى الاتصال ،

وهو يلتفت إلى (أدهم) ، الذى تحول إلى صورة طبق

الأصل من المحاسى ، ويقول :

- دون ينتظرك على أحر من الجمر يا مستر

(برنارد) .

ابتسم (أدهم) ، قائلاً :

- أتعثم ألا يتغير رأيه هذا عندما نلتقى .

والتطرق بالسيارة عبر الحديقة الواسعة ، فهتفت

(ليديا) ، وهى تتلقت أنفاسها :

- يا للجرأة... إنك تتصرف بمنتهى الثقة ، كما لو كنت (برنارد) الحقيقي !

ابتسم وهو يجيب :

- الثقة نصف النجاح يا عزيزتى .

تطلعت لحظة إلى تنكره المتقن للغاية ، قبل أن تهز رأسها ، قائلة :

- الواقع أننى فى ذهول من براعتك هذه .. حتى أنا لم يكن بإمكانى تمييزك عن (برنارد) الحقيقي .. إنك تتفوق على الكمبيوتر فى صنعك لتلك الأقنعة الرقيقة ، ولكن ما يبهرنى حقاً ، هو حنجرتك المرونة ، التى تجعلك تتحدث بصوت (برنارد) .. كيف أمكنك أن تفعل هذا ؟ أجابها فى بساطة :

- كل شيء يتطور بالتدريب .

هتفت فى دهشة :

- بالتدريب ؟! .. وكم من الوقت استغرقت تدريباتك ، حتى بلغت هذه المهارة المذهلة .

أطلق ضحكة قصيرة ، قبل أن يجيب :

- أخشى ألا تصدقنى لو أجبتك يا (ليديا) .

تطلعت إليه لحظات فى البهار ، وهو يتجه بسيارته نحو مكان انتظار السيارات ، ثم همست :

- قل لى : هل يعلم رجال الـ (سى . آى . إيه) (*)

وجودك ؟

ابتسم قائلاً :

- نعم .. ولديهم ملف كامل عنى .

مالت نحوه ، وهى تهمس بأنفاس مبهورة :

- ألم يصيبهم هذا بالإحباط ؟

ضحك ، دون أن يجيب ، وأوقف السيارة ، وغادرها

فى مدوء ، فتبعته هى ، واستقبتهما (آرلى) ، وهو يقول فى توتر :

- أين كنت يا سيتر (برنارد) ؟ .. إننا نبحث عنك منذ أكثر من ساعة كاملة .

خفق قلب (ليديا) فى عنف ، عندما رأت (آرلى)

يتطلع إلى وجه (أدهم) مباشرة ، ولكن هذا الأخير ظل

هادئاً بامناً ، وهو يجيب بصوت (برنارد) :

- هاتذا يا (آرلى) ، وهذا هو المهم .

ثم تحرك فى مدوء نحو المصعد الصغير ، الذى

يقود إلى الطابق الثامى من القصر ، حيث مكتب

(ميديتشى) ، فى حين بقيت (ليديا) فى مكانها ، تتطلع

(*) سى . آى . إيه : C.I.A. : لمخابرات المركزية الأمريكية .

١٢ - المواجهة ..

التقطت أذنا (أدهم) تلك الكلمة ، التي نطقها
(آرتى) ، فاستدار إليه فى حزم ، قائلاً :
- ماذا تقول يا (آرتى) ؟

شعرت (ليديا) أن تلك النظرة ، المظلمة من عيني
(أدهم) ، قد اخترقت كيبتها ، وصعقت قلبها بتيار
كهربي ، جعله يرتجف مرتاعاً ، وأيقنت على الفور من
أن (آرتى) قد استقبل التأثير نفسه ، وهو يخفض
منفعه فى سرعة ، ويقول مضطرباً :

- لا شيء يا مستر (برنارد) .. لا شيء .
رمقه (أدهم) بنظرة صارمة أخرى ، ثم استدار
إلى (ليديا) ، قائلاً :

- هيا يا (ليديا) .. سننتأخر أكثر على نون ، وهو
يكرد هذا ، ويكرد من يتسببون فيه .

قال الجملة الأخيرة ، وهو يرمى (آرتى) بنظرة
ذات مغزى خاص ، ثم يلتقط يد (ليديا) ، ويواصل
طريقه إلى المصعد ، وهي تهمس مبهورة :

- يا لك من رجل ! .. يا لك من رجل !
أما (آرتى) ، فقد وقف فى مكانه جامداً لحظات ،
حتى سانه أحد رجاله :

إلى (آرتى) ، الذى تابع (أدهم) ببصره لحظات . قبل
أن يغتم فى عصبية ، وهو يحرك مدفعه الآلى :
- يا للوقاحة !

وهو قلب (ليديا) بين قدميها ثانية .

* * *



- ماذا هناك يا (آرتي) ؟

انتفضض كمن يستيقظ من كابوس سخيـف ، وانتفتت إلى الرجل لحظة في شـرود ، قبل أن يقول متوتراً :

- مستر (برنارد) يبدو لي مختلفاً .

قال الرجل في دهشة :

- مختلفاً ؟! كيف ؟.. إنه يبدو طبيعياً للغاية ..

ما المختلف فيه ؟

تنهد (آرتي) ، قائلاً :

- قامته تبدو أكثر طولاً ، ومنكبـيه أكثر عرضاً ،

وشخصيته أكثر قوة ، و ...

قاطعه الرجل :

- شخصية ماذا ؟

ثم انفجر ضاحكاً ، فصاح به (آرتي) :

- الأمر لا يستحق السخرية .

وعقد حاجبيه ، وهو يتعد مستطرداً :

- هذا ما أشعر به ، وأنا حز في مشاعري .

في نفس اللحظة : انسى نطق فيها هذه العبارة ،

كان دون (ميديتشي) يستقبل (أدهم) و (ليديا) في

عصية ، قائلاً :

- أين كنت يا (برنارد) ؟.. العالم كله مقلوب على

رأسي ، وأنت تختفي هكذا .

أجابـه (أدهم) في هدوء :

- كانت لدى بعض الأعمال يا دون .

صاح فيه (ميديتشي) في حدة :

- أية أعمال ؟!.. أية أعمال يا (برنارد) ؟!.. إنك

محامي الخاص ، وتتقاضى منى مبلغاً باهظاً ،

والمفروض أن تنفرغ لأعمالى وحدها .

أجابـه (أدهم) :

- إنها أعمالك أيضاً يا دون ، تلك التى شغلتنى

عـنك ، فقد كنت أتتبع عملية اختطاف دوتا .

هتف (ميديتشي) :

- حقاً ؟!.. وماذا وجدت يا (برنارد) ؟!.. هه .. ماذا

وجدت ؟!

استرخى (أدهم) على مقعد وثير ، وهو يجيب :

- إنه نكـ التاجر من (كولومبيا) (*) .. تاجر

السلاح الكولومبى .. يبدو أن بينكما بعض المشكلات .

(*) كولومبيا : جمهورية في شمال غرب (أمريكا الجنوبية) ،

عاصمتها (بوجوتا) ، ولها سواحل على المحيطين ، الأطلنطى

والهادى . ومن أهم منتجاتها قـبن والبتـرول ، ويعتبرها البعض

أكبر مصدر للمخدرات والأسلحة المهربة إلى الولايات المتحدة

الأمريكية .

هتف (ميديتشى) فى حدة :

- اتقصّد (مانو) ؟!.. نك الحقيير (مانو) ..
كيف يجرو .. إن لدى هنا مستندات تكفى لإلقائه فى
غياهب السجون لألف عام .
تنهّد (أدم) ، قائلاً :

- هذا ما أخبرته به ، ولكنه ضحك ساخراً ، وقال :
إنه لم يعد هناك وجود لتلك المستندات ، وإته ألقاها فى
النار بنفسه .

هيب (ميديتشى) من مقعده ، صارخاً :

- كاذب .. كاذب حقير .. هذه المستندات لم تفارق
خزائنى قط .
قل (أدم) :

- معذرة يا دون ، ولكنه يؤكّد هذا فى إصرار ،

و ...

قاطعه (ميديتشى) فى ثورة :

- قلت لك : إنه كاذب حقير .. هذه المستندات لم
تفارق خزائنى قط ..

لا أحد يمكنه حتى العثور عليها .

قال هذا ، واندفع نحو الجدار المجاور لمكتبه ،
ووضع يده فوقه ، و ...

وقجاة ، توقف ، وتراجع قائلاً فى صرامة :

- انتظرنى فى الخارج مع (ليديا) يا (برنارد) .
خلق قلب (ليديا) فى عنف ، ولوّح (أدم) بكفه ،
كما يفعل (برنارد) ، قائلاً :

- دون .. الأمر لا يحتمل ...

قاطعه (ميديتشى) فى حدة :

- انتظرنى فى الخارج يا (برنارد) .. أنت تعرف
القواعد .

صمت (أدم) لحظة ، قبل أن يقول :

- هل تصرّ يا دون ؟

حدّق (ميديتشى) فى وجهه بدهشة ، قبل أن
يهتف :

- ماذا أصابك يا (برنارد) ؟.. أنت تعلم أننى لن

أكتشف هذا السر قط .

تبادل (أدم) نظرة قصيرة مع (ليديا) ، ثم هزّ
كتفيه ، قائلاً :

- فى هذه الحالة ..

وفى جزء من الثانية ، كان مسندسه مصوّباً إلى
(ميديتشى) ، الذى ارتفع حاجباه فى ذهول ، وهتف فى
شحوب :



ولكن (أدهم) سبقه إلى هناك : وقبض بأصابعه الفولاذية على

معصمه ..

- (برنارد) ؟؟.. ماذا تفعل ؟؟

ارتسمت على شفتي (أدهم) ابتسامة ساخرة ،
لا تتناسب قط مع شخصية المحامي ، وهو يجيب بصوته
الحقيقي :

- أخترق جهازك الأمني للمرة الثالثة يا دون .
تراجع (ميديتشي) في عطف كالمصعوق ، حتى أنه
ارتطم بمكتبه ، وهو يهتف :
- مستحيل !.. مستحيل !

ثم انتزع نفسه من ذهنه بسرعة مذهشة ، ووثب
نحو زر الإنذار فوق مكتبه ، ولكن (أدهم) سبقه إلى
هناك ، وقبض بأصابعه الفولاذية على معصمه ، وهو
يقول متهمكاً :

- ليس بهذه السرعة .

حاول (ميديتشي) أن يقاومه في عطف : هاتفاً :
- كيف فعلتها ؟؟.. كيف انتحلت شخصية (برنارد)
على هذا النحو ؟؟.. أين (برنارد) الحقيقي ؟؟
لوى (أدهم) ذراعه خلف ظهره ، في حركة
سريعة قاسية ، وهو يقول :

- سخاميك الداهية يرقد فاقد الوعي ، في حقيبة
سيارته الخلفية ، ولست أعتقد أنه سيستعيد وعيه ، قبل

نصف ساعة أخرى ، نكون خلالها قد انتهينا من مهمتنا ، وحصلنا على المستندات .

هاتف (ميديتشى) :

- مستحيل ...! لن تحصل على تلك المستندات إلا على جثتى .. ها هي ذى الحجرة أمامك .. ابحث عنها ، لو أنك تظن نفسك ذكياً .

دفعه (أدهم) نحو الجدار المجاور للمكتب ، قائلاً :
- خزانك هنا يا دون .. لقد كشفت نفسك بنفسك الآن .. قل لي : كيف تفتحها ؟

أجابته فى صرامة :

- مستحيل ...! مستحيل !

سرى توتر عنيف فى جسد (ليديا) ، وهى تقول :
- لو أنه رفض التعاون معنا ، سنهار خطتنا كلها ، وسأكون قد نسفت عمل عامين كاملين بتعاونى معك .

جذب (أدهم) إبرة مسدسه ، ودفعه فى عنق (ميديتشى) فى قسوة ، وهو يقول فى صرامة :

- اطلعتى يا (ليديا) .. دون (ميديتشى) الطريف سيتعاون معنا ، فهو لا يحب أن يحظى بثقب محترق فى عنقه .

هاتف (ميديتشى) فى غضب :

- أنت أيضاً يا (ليديا) ..! ..! ..! لست أصدق هذا ..
(ليديا) الجميلة المدللة تعمل لحساب المخابرات المصرية .

أجابته فى حدة :

- لا شأن لى بالمخابرات المصرية يا دون .. أنا عميلة فيدرالية .
صاح فى دهشة :

- عميلة فيدرالية ؟ .. من أواجه بالضبط ؟ ..!
أصدقاء دون (كارولينا) ، أم رجال المخابرات المصرية : أم الـ (إف . بى . آى) (*) .

أجابته (أدهم) فى صرامة :

- ليس لدينا وقت لهذه الأحاديث الصحفية يا دون .. هيا .. أخبرنا كيف نفتح خزانك السرية ، وإلا نسفت رأسك الغبى هذا .

صاح (ميديتشى) :

- مستحيل ...! مستحيل ...! مستحيل !

لوى (أدهم) ذراعه بقوة أكبر ، فأطلق صيحة ألم ، جعلت (ليديا) تهتف متوترة :

(*) إف . بى . آى : F. B. I : لمباحث الفيدرالية الأمريكية .

- رويدك يا (أدهم) .. صياحه هذا سيجذب الجميع إلى هنا .

قال (أدهم) في صرامة ، وهو يلوى ذراع الدون أكثر :

- دعيه يملأ الدنيا صراخا وعويلًا ، ولكنني سأكسر عنقه لو اقتضى الأمر ، ما لم يفصح لنا عن سر الخزانة .

هتف (ميديتشي) في ألم :

- اكسره لو أردت ، ولكنك لن تحصل مني على حرف واحد .

كان من الواضح أن الصقلى الكهل عييد للغاية ، وأنه ما من وسيلة لإجباره على الإلقاء بسر خزانته الخاصة ، ثم أن (أدهم) كان يشعر بالتضيق ، لأنه يعامله بهذا الأسلوب العنيف ، لذا فقد قال في غضب :

- اسمعنى جيدًا يا دون .. لقد عرفنا أن الخزانة هنا ، وسنصل إلى محتوياتها بأى ثمن ، حتى ولو اضطررنا لنسف الجدار .

أجابه (ميديتشي) في عناد :

- اتسفه لو أردت ، ولكنك لن تحصل على شيء .
نفذت العبارة إلى عقل (أدهم) مباشرة ، فاعتقد

حاجباه في شدة ، وتطلق ذهنه يعمل في سرعة ، و (ليديا) تقول في توتر شديد :

- لن نحصل منه على كلمة واحدة .. لقد أخطأت بتعاونى معك .. لقد أفسدت كل شيء .. أفسدت عمل عامين كاملين .. لن يغفروا لى هذا قط .. لن يغفروه لى أبدا .

ولكن (أدهم) قال لدون (ميديتشي) في صرامة :

- إن قُلت ترفض التعاون معى يا دون ، وفى هذه الحالة لا تصبح لك أهمية الآن .

هتف (ميديتشي) :

- ماذا ستفعل ١٢ .. ماذا ستفعل !!

تصورت (ليديا) لوهلة ، أن (أدهم) سيطلق النار على دون (ميديتشي) ، ولكنها فوجئت به بضغط جاتبى علق (ميديتشي) في سرعة ، فتهوى هذا الأخير فاقد الوعي بين ذراعيه ، واتسعت عيناها في دهشة ، وهى تسأله :

- ماذا فعلت به ؟

أجابها ، وهو يردد الدون على الأريكة القريبة :

- أوقفت مرور الدم فى وريديه العنقيين ، فافتقر الدم إلى الأكسجين ، وفقد الوعي .

سألته في خيرة :

- هل تعرف كل شيء ؟

أجابها ، وهو يعتدل ، ويتجه إلى الجدار المجاور للمكتب :

- كلاً بالطبع .. لا أحد يعرف كل شيء في عالم المخابرات .

قالتها ، وراح يتحسس الجدار في دقة واهتمام بالغين ، فلانت هي بالصمت التام ، وتعلق بصرها به في لهفة وأمل ، ثم خفق قلبها في عنف ، وهو يقول :

- آه .. ها هو ذا .

اندفعت نحوه ، هاتفة :

- هل عثرت على الخزانة ؟

أجابها في ارتياح :

- بل على مفتاحها يا (ليديا) .. مفتاح الخزانة

السرية .

للوهلة الأولى ، لم يلحظ بصرها أي شيء في الجدار ، ولكن فجأة ، انتبهت إلى نقش ضئيل للغاية ، لا يتجاوز عمقه نصف المليمتر ، ولكن النظرة المدققة تجعله يتضح إلى حد ما ..

وشهقت (ليديا) في قوة : فقد كان ما أمامها

مدهشنا ..

مدهشنا بحق ..

* * *

اتخذ حاجبا (آرتي) في شدة ، وهو يدير الأمر في رأسه للمرة العاشرة ..

شيء ما في أعماقه كان ينبع على عقله ، بأن المحاسي (برنارد) يختلف هذه المرة ..

يختلف إلى حد ما ..

صحيح أن ملامحه لم تختلف قط ، كذلك صوته ، ولكن شيئا ما فيه لم يكن يشبه (برنارد) الذي يعرفه ..

وفي حرص ، اقترب منه أحد رجاله ، وهو يسأله :

- أما زال أمر (برنارد) بشغلك يا (آرتي) ؟

هز (آرتي) رأسه ، قائلا :

- لا أستطيع إبعاد الأمر عن ذهني أبدا يا رجن .

أخرج الرجل عليه سجائره ، وقبم لـ (آرتي)

سيجارة ، وهو يقول :

- اتفض عنك فتك يا (آرتي) .. المحاسي يجلس

مع دون في حجرة مكتبه ، منذ ما يقرب من نصف

المساءة ، ولو أنه ليس (برنارد) الحقيقي ، لكشف دون

أمره على الفور .

التقط (آرتى) السيارة ، وأشعلها فى شرود ،
وهو يقول :

- هذا ما أحاول إقناع نفسى به ، ولكن ..

لم يتم عبارته ، ولكن الرجل فهمه ، وغمغم :

- من الواضح أن أعصابك متوترة أكثر مما ينبغى

يا (آرتى) .. أعتقد أنك بحاجة إلى بعض الراحة .

أوما (آرتى) برأسه موافقا ، وهو يقول :

- إنك على حق يا رجل .. أعتقد أنني بحاجة إلى

هذا بالفعل ، ولو أن ...

بتر عبارته بفتة ، واعتقد حاجباه فى شدة ، والتفت

إلى منطقة انتظار السيارات ، فسأله الرجل فى قلق :

- ماذا هناك يا (آرتى) ؟

أجاب (آرتى) فى توتر :

- هل تسمع هذه الدقات ؟

سأله الرجل ، وهو يتقطع بدوره إلى السيارات :

- الدقات ١٢ .. أية دقات ١٢

اندفع (آرتى) نحو مكان انتظار السيارات ، هتفا :

- انصت جيدا يا رجل .. إنها دقات واضحة .

لحق به الرجل ، وراحت تلك الدقات تتضح

تدرجيا ، كلما اقتربا من السيارات ، فهتف الرجل :

- نعم .. الآن أسمعها فى وضوح .

فابتهم تلك الدقات إلى سيارة (برنارد) ، التى

تصدر من حقيبتها الخلفية ، فقال (آرتى) فى انفعال :

- هناك شيء ما هنا .. أو شخص ما .

أجاب الرجل فى قلق :

- دعنا نحضر مفاتيح السيارة من مستر (برنارد) ،

و ...

قأطعه (آرتى) فى عصبية :

- لا يارجل .. مستر (برنارد) هو آخر شخص

نحتاج إلى موافقته الآن .

ثم التقط رافع إطارات معدنى ، فصاح به الرجل :

- ماذا ستفعل يا (آرتى) ؟

أجاب (آرتى) فى جدل :

- أى شيء يغضب مستر (برنارد) يا رجل .

وهوى بالرافع المعدنى على قفل الحقيبة الخلفية ،

فكسره فى عنف ، ثم فتح الحقيبة ، و ...

واتسعت عيناه فى دهشة بالغة ، وهو يحنق فى

(برنارد) المقيّد والمكتم فى إحكام ، والذى تطلع إليه

بنظرة مستنقدة ، وهو يضرب قائم الحقيبة بقدمه ،

فهتف الرجل المصاحب لـ (آرتى) :

- مستحيل .. إنه مستر (برنارد) .. من يكون ذلك الموجود في مكتب دون إثن .
ولم يجب (آرتي) ، وإنما تألفت عيناه في شدة ،
فما دام هذا هو مستر (برنارد) الحقيقي ، فذلك يصنع
فارقاً كبيراً ..
ومميتاً .

* * *



١٢- الدوار ..

نقرت دونا (كارولينا) على سطح المنضدة
بأصابعها في عصبية . وراحت تفتت دخان سيجارتها
العاشرة في توتر ، حتى سمعت طرقاً هادئاً على باب
حجرتها ، فقالت في عصبية :

- ادخل .. إثنى أنتظرك منذ نصف الساعة .

دلف رجل المخابرات المصري إلى الحجرة في
هدوء ، ولوح بكفه في الهواء ، قائلاً :

- إنك تسرقين كثيراً في الترخين يا دونا .. حجرتك
تكدت تختفي خلف سحب الدخان .

قالت في حدة :

- هذا شأنى .

أجابها في هدوء :

- هل تقنين هذا ؟ .. أعتقد أننى أخالفك الرأي

يادونا ، فكل الأديان والشرايع والنظم والقوانين ،

لا تمنح المرء حق الانتحار ، وقتل نفسه بنفسه ،

والتسخين قاتل بطيء ، يسبب في النهاية أمراض الصدر

والتشرييين ، والأورام الخبيثة ، و ...

قاطعت غاضبة :

- نلت أظننى طلبت حضورك ، لكنى أرغب فى سماع محاضرة عن أضرار التدخين .

ابتسم ، قائلاً :

- بالطبع .. ماذا تريد منى يا دونا ؟

أطفت سيجارتها ، والتقطت أخرى ، قائلة فى حلق :

- أريد أن أعرف .. أأنا سجيئة هنا ؟

ارتفع حاجباه فى دهشة حقيقية ، وهو يهتف :

- سجيئة ؟! .. كلا بالطبع يا دونا .. لقد أحضرتك

هنا لحمايتك ، بناء على طلب سيادة العميد (أدهم) .

صاحت محققة :

- لماذا لا يوجد سبيل للخروج إذن ؟! .. النافذة تطل

على حجرة أخرى ، والباب ينتهى بحجرة مكتبكم ، وكل

شيء يوحى بأنه من المحذور أن أغادر المكان .. إننى

لا أجد حتى هاتفاً .

كرّر الرجل فى شيء من الصرامة :

- كل هذا لحمايتك يا دونا .

لوحّت بذراعها فى غضب ، وهى تشعل سيجارتها

باليدي الأخرى ، صائحة :

- لمست أريد هذه الحماية .. إننى أحتاج إلى التحدث

إلى رجائى ، وإصدار بعض الأوامر ، و ...

قاطعها الرجل فى صرامة عذيفة :

- دونا (كارولينا) .

بقرت عبارتها ، وهى تحدّق فى وجهه بدهشة ،

فاستطرد بنفس الصرامة :

- من الطبيعى ألا يروق لك وجودك هنا ؛ لأن هذا

يجب شيئاً من حريتك ، التى ستستعيدونها فور

استقرار الأمور ، ولكن الشيء الذى ينبغى عليك

معرفة ، هو أننا نحن أيضاً نضيق بالموقف كله ؛

فحماية زعيمات المنظمات الإجرامية الكبيرة لا يدخل

ضمن نطاق عملنا فى المعتاد ، لذا فنحن نشعر بالتوتر

متى ، وربما أضعاف أضعاف ما تشعرين به .. ولا أحد

هنا سيحتمل عنادك وعصبيتك ، وثو أنك تصرين على

إفساد الأمر ، فسنعيدك إلى شقتك ، ونتركك تواجهين

رجال الشرطة ، ورجال دون (ميديتشى) ، وربما

غيرهم .. هل تفهمين ؟

تسعت عيناها ، وانعدت لسانها فى حلقها لحظات ،

ثم لم تلبث أن تنحنت ، قائلة ، فى محاولة لاستعادة

هيبتها :

- المهم ألا يستمر هذا الأمر طويلاً .

رمقها الرجل بنظرة صارمة ، وهو يقول :

- سيستمر حتى بداية الشهر على أكثر تقدير .

ثم استدار يقاوم الحجرة ، إلا أنها هتفت به :

- هناك أمر آخر .

التفت إليها متسانلاً ، فأضافت في عصبية :

- أريد بعض أدوات الزينة .

وعلى الرغم من توتره السابق ، لم يتمالك الرجل

نفسه ، و ...

واتفجر ضاحكاً ..

* * *

حدقت (ليديا) طويلاً في ذلك النقش الباهت ، قبل

أن تقول في الفعل ، وقبلها يدق في قوة :

- إنها يد كاملة .

أجابها (أدهم) :

- نعم يا (ليديا) .. إنه نقش يتسع ليد كاملة ..

ثم التفت إلى (ميديتشي) الفائد الوعى ،

مستظرباً :

- يد لدون .

سألته مبهورة :

- وما السر في وجود هذا النقش هنا ؟

انحنى يحمل جسد (ميديتشي) ، قليلاً :

- ستريت .

وأسك معصم (ميديتشي) في قوة ، ثم ألصق

راحته بموضع النقش ، فأنطبقت عليه تماماً ..

وهنا ترند في المكان أزيز خافت ، أعقبه دوران

المكتب حول محوره في بضع ، كاشفاً فجوة سرية

أسفله ، تحوى كل وثائق ومستندات دون

(ميديتشي) ..

وهتفت (ليديا) في انفعال جارف :

- أخيراً .. ياللعبقرية !.. من يخطر بباله هذا ؟ ..

الجدار يحوى المفتاح ، والخزانة نفسها أسفل المكتب .

أجابها (أدهم) ، وهو ينحنى لالتقاط الوثائق

والمستندات :

- إنه ليس مفتاحاً عادياً ، فهو لن يعمل إلا

ببصمات دون (ميديتشي) وحدها .

سألته في لهفة :

- وكيف توصلت إلى هذا ؟

أجابها وهو يمس الوثائق كلها في جيوبه :

- عندما كنت لدون (ميديتشي) أننا منمنسف

الجدار ، نلحظ عن الخزائنة ، ثم يبد أدنى اهتمام ، بل

بدا وكأن هذا يناسبه تمامًا ، وهنا استنتجت أن الجدار
يحوي وسيلة فتح الخزائن فحسب ، وليس الخزائن
نفسها .

قفزت تتعلق بعنقه ، هاتفة :

- أنت رائع .. أروع رجل عرفته في حياتي كلها ..
لقد حققت بضربة واحدة ما عجزنا عنه لسنوات
وسنوات .

قاطعها صوت (آرتى) ، وهو يقول فى حدة :
- ليس بعد .

استدارت إليه مع (أدهم) ، ووقع بصرهما عليه ،
مع عشرة من رجاله ، وكلهم يحملون مدافعهم الآلية ،
ويصوبونها إليهما ، و (آرتى) يستطرد :
- فالعملية تنتهى هنا .

توترت (ليديا) بشدة ، ولكنها فوجئت بـ (أدهم)
يبتسم فى سخرية ، وهو يقول :

- مرحى يا (آرتى) .. أخيراً نبت لك مخ فى قلب
جمجمتك .. قل لى : أى سماد استخدمت هذه المرة ؟ ..
مخلفات الكلاب ؟!

جذب (آرتى) إبرة مدفعه الآلى فى غضب ، وهو
يقول :

- لن تغيبك سخريتك هذه اثمرة يا رجل .. لقد
عثرنا على (برنارد) الحقيقى فى حقيبة سيارته ،
وفهمنا لعبتك كلها .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة ، وهو يقول :

- عظيم .. هذا يعنى أننى لم أعد بحاجة لهذا القناع
السخيف .

قالها ، وانتزع قناع (برنارد) ، وألقاه جانباً ،
فحقق فيه الرجال فى دهشة ، وهتف به أحدهم :

- كيف أمكنك أن تفعل هذا ؟

هز (أدهم) كتفيه فى لامبالاة ، قائلاً :

- يمكنك اعتبارها مسألة اعتياد .

وهتفت (نيديا) فى توتر :

- لقد أجبرنى على هذا .. أنا نفسى لم أكتشف

حقيقته .. لم أكن أعلم أنه ليس (برنارد) الحقيقى .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، مغففاً :

- يا للبالاة !

أما (آرتى) ، فصبوب إليهما مدفعه ، وهو يقول

فى صرامة :

- كل هذا لن يفيد .. لقد انتهى أمركما .. الوداع .

ومع قوله ، رفع رجاله مدافعهم الآلية ، وصوبوها
إلى (أدهم) و (ليديا) ، و...
وابتسم الموت ..

* * *

قطع الدكتور (أحمد صبرى) ممر المستشفى فى
خطوات واسعة ، حتى بلغ قسم الحالات الحرجة ، ولم
يكد يدلف إليه ، حتى وقع بصره على (قدرى) ، الذى
التصق بالجدار الزجاجى لحجرة (منى) ، وراح يتطلع
إليها فى حزن صامت ، وقد التفت الأطباء حول فراشها ،
والحيرة تملأ عقولهم مرة أخرى ، لذلك النشاط الفائق
غير المفهوم ، الذى يعطيه مخها بغتة ، ودون مقدمات
معروفة ، من حين لآخر ..

وفى هدوء ، اقترب الدكتور (أحمد) من (قدرى) ،
ووضع يده على كتفه ، قائلاً :
- اطمئن يا صديقى .. أنا هنا .

التفت إليه (قدرى) بعينين داسعتين ، وهو يقول :
- كنت أعلم أنك ستأتى .. إنها بحاجة إليك .

تطلع الدكتور (أحمد) ، عبر الجدار الزجاجى ، إلى
جهاز رسم الإشارات المخية ، وهو يقول :

- المفروض أننا وحدنا نفهم سر ما يصيبها .. هذا
لا يعرضها لأية مخاطر يا رجل .. اطمئن .. إنتهى أدرس
حالتها طوال الوقت ..

أجابته (قدرى) فى مرارة :

- ولكنك يعنى أن (أدهم) فى خطر .

تتهّد الدكتور (أحمد) ، وربّت على كتفه ، قائلاً :

- (أدهم) يعرف كيف يدافع عن نفسه .

أوماً (قدرى) برأسه إيجاباً ، وهو يقول فى
حزن . متطلعاً إلى كفه :

- أعلم هذا ، ولكننى لا أستطيع منع نفسى من
الأسى ، لأننى لا أستطيع مد يد العون إليه ، لو اقتضى
الأمر .

ربت الدكتور (أحمد) على كتفه مرة أخرى ،
قائلاً :

- كل شيء سيعود كما كان يا رجل .. إنها مسألة
وقت .

ابتسم (قدرى) فى مرارة ، وهو يقول :

- أعلم أنها مسألة وقت ، ولكن كم ؟ ومتى ؟

تطلع إليه الدكتور (أحمد) مشفقاً ، ثم تركه ،
ودلف إلى الحجرة ، قائلاً :

- كيف حالك أيها السادة؟! .. أما زال نشاط المخ
الزائد هذا بربكم؟

انتفضوا إليه جميعاً في دهشة، ثم اندفعوا
بصافحونه ويرحبون به، وأجابه أحدهم:

- الواقع أنه ما زال يربكنا بالفعل يا دكتور
(صبري)، فهو يحدث بغتة، دون أية مؤشرات تسبقه
أو تعقبه، وهذا لا يمنحنا فرصة دراسته على نحو
جيد، ولكنه بالتأكيد حالة خاصة .. خاصة جداً.

كان الجهاز يواصل رسم تلك المنحنيات الحادة
والنشاطات الزائدة، فتطنع إليه الدكتور (أحمد)
لحظات، ثم عقد حاجبيه، قائلاً:

- أخبروني أيها السادة .. هل سجلتم النشاطات
المسابقة لمخها؟

أجابه كبيرهم:

- نعم يا دكتور (أحمد) .. لدينا هنا تسجيلات لكل
التطورات التي حدثت لمخها، منذ وصولها إلى هنا.

عاد يتطنع لحظات إلى الجهاز، قبل أن يقول في
حزم:

- إذن فلما أريد أن أقحصنها كلها، فور انتهاء هذه
النوبة.

قلها، وهو يعاود التطنع إلى الجهاز، فقد كان
هناك أمر ما يقلقه هذه المرة ..
يقلقه بشدة ..

* * *

«يا للسخافة! ..»

نطق (أدهم) هذه الكلمة في سخرية، وهو يتطنع
إلى فوهات المدافع الآلية المصوِّبة إليه، قبل أن
يستطرد متهمكاً:

- هل انحدر الأمر بـ (آرتي)، إلى حد قتل خصومه
بهذه الوسيلة النمطية؟

اتعقد حاجباً (آرتي) في شدة، وأشار لرجاله
بالتوقف، و (أدهم) يضيف:

- كنت أتصور أنك ستمارس فنك الشهير، وتجد
وسيلة مبتكرة للقضاء علينا، ولكن يبدو أن الصدا

يصيب كل العقول، حتى عقل (آرتي) الفنان.

لم تفهم (ليديا) ما يرمي إليه (أدهم) بحديثه
العجيب هذا، وسمعت (آرتي) يقول في حدة:

- أنت جلبت هذا لنفسك يا رجل .. سأتيح لك تذوق
فن (آرتي) لآخر مرة في حياتك.

ثم أشار إلى رجاله، مستطرداً في صرامة:

- أصحابوهما إلى حوض السباحة .

سألت (ليديا) (أدوم) ، والرجال يصحبونهما إلى

الخارج :

- ماذا ترمى إليه بالضبط ؟

أدهشتها ابتسامته ، وهو يجيب في هدوء :

- شيء من المرح يا عزيزتي (ليديا) .. شيء من

المرح .

اتجه بهما الرجال إلى السلم ، الذي يهبط إلى

الطابق الأرضي ، وسار (آرتي) مع خمسة من رجاله

أمامهما ، في حين سار الخمسة الآخرون خلفهما ، وما

أن أصبح الجميع في منتصف السلم ، حتى هتف

(أدوم) فجأة :

- الآن .

ثم جذب (ليديا) إلى أسفل ، وهو يركل أقرب

الرجال إليه بقدمه في عنف ، فسقط مرتطمًا بزملائه .

وتدحرج الجميع مع (آرتي) على درجات السلم ، في

حين دار (أدوم) على عقبيه في سرعة ، ولكم الرجل

الثواق خلفه مباشرة لكمة عنيفة ، وهو ينتزع مدفعه

الآلى ، في نفس اللحظة التي تشبّطت فيها (ليديا)

بمدفع رجل آخر ، وهي تركله بكل قوتها بين مفاقيه ..

وقبل أن يستوعب الرجال الثلاثة الآخرون

المفاجأة ، كانت (ليديا) تصوب فوهة المدفع الآلى

إليهم ..

وتطلق النار ..

وبلا رحمة ، انطلقت الرصاصات تحصد الرجال

الثلاثة ، وتفجرت دماؤهم في وجهى (أدوم)

و (ليديا) ، فهتف الأول في غضب :

- ماذا فعلت ؟! .. لم يكن من المحتم أن نقتلهم !

استدارت في سرعة إلى الرجال أسفل السلم ، وهي

تصرخ :

- لا توجد وسيلة أخرى .

أمسك مدفعها في اللحظة الأخيرة ، فاستطاعت

رصاصاته في الهواء ، مما منح الفرصة لـ (آرتي)

ورجاله ، ليركضوا خارج القصر ، فصرخت (ليديا) :

- ماذا فعلت ؟! .. كان يمكننا أن نحصدهم جميعًا

بضربة واحدة .

صاح بها غاضبًا :

- ألا يمكنك التفكير في وسيلة أخرى ، بخلاف

إراقة الدماء ؟

أجابته صارخة :

- كل ما أفكر فيه هو أن الدماء ستراق حتماً ، فيما
أن تكون دماهم أو دماغنا .
هبط (أدهم) السليم في قفزات سريعة ، وهو
يقول :

- من الواضح أننا نختلف كثيراً في هذا الأمر أيتها
الأمريكية .

ارتفع من الخارج صوت (آرتي) ، وهو يصرخ :
- حاصروا المكان .. لا تسمحوا لهما بالخروج من
هنا على قيد الحياة .

صاحت (ليديا) في حلق :
- هل رأيتم ؟ .. كان يمكننا أن ننهي هذا الموقف
ببضع رصاصات .

أجابها في صرامة ، وهو يدير عينيه فيما حوله :
- اصمتي يا (ليديا) .

وتوقف بصره عند وعاء أثري جميل ، يزين أحد
أركان التيهو ، فأتجه إليه بسرعة ، وألقى الوثائق
والمستندات داخله ، ثم التقط سماعة الهاتف ، وناولها
إلى (ليديا) ، قائلاً :

- هيا .. أبلغى رفاقتك أنك حصلت على الوثائق ،
وأطلبني منهم مداومة قصر دون (ميديتشي) بأقصى
سرعة .

التقطت منه سماعة الهاتف ، وهي تقول في عصبية :

- لن يكون هذا سهلاً .

تركها تتصل برفاقها ، واتجه إلى النافذة في ركن
التيهو ، يختلس النظر منها إلى الخارج ، ورأى رجال
(آرتي) يعدون في كل مكان ، وهم يحملون أسلحتهم ،

وسمع (آرتي) بينهم يصيح :
- استسلم يا رجل .. لن تجد ثغرة واحدة للفرار
هذه المرة .

كان النشاط أمام القصر جماً إلى حد كبير ، وكان
(آرتي) يعلن قوته ، ويبرز حجم جيشه الصغير ..
وفجأة ، سمع (أدهم) (ليديا) تصرخ :

- اللعنة ! .. إنها خدعة .. احترس يا (أدهم) .
استدار إليها في سرعة ، وانتبه في هذه اللحظة
فقط ، إلى باب سري خلفه ، في ركن التيهو ، يندفع منه
عدد من الرجال ، و ...

وهوت ضربة عنيفة على مؤخرة عنقه ، مع دوى
رصاصات مدفع (ليديا) ، فحاول أن يتماسك ، على
الرغم من الدوار التعنيف ، إلا أن ضربة أخرى استرجت
في رأسه بصرخات العميلة الفيدرالية ، قبل أن يخبو كل
شيء بفتة ، ويرتطم جسده بالأرض ، وقد فقد الوعي
وسط بهو قصر دون (ميديتشي) ..

ورجال دون (ميديتشي) ..

* * *

١٤ - عرين الذئاب ..

نق (قدرى) باب حجرة الدكتور (أحمد صبرى) فى توتر منخوف ، ثم دفع الباب قبل حتى أن يتلقى الرد ، وهو يقول فى لهفة :

- الحالة تزداد سوءاً يا دكتور .. يبدو أن (أدهم) يتعرض لخطر داهم هذه المرة .

استقبله الدكتور (أحمد) بنظرة متوترة ، وهو يقول :

- اهداً يا (قدرى) .. اهداً .. يبدو أننا لا نملك ما نفعله ، إزاء هذا التطور العجيب ، سوى أن ننتظر ، ونبتهل لله (سبحانه وتعالى) أن يشملها برحمته .
فغر (قدرى) فاه فى دهشة ، قبل أن يهتف مستكراً :

أهذا قول طبيب متخصص ؟
أوماً الدكتور (أحمد) برأسه إيجاباً فى أسف ، وهو يجيب .

- للأسف يا (قدرى) .. العلم يقف عاجزاً أمام تلك الحالة العجيبة ، التى تمر بها (منى) .. ليس أماننا ما نفعله .. إن ذلك النشاط الزائد فى مخها ، لا يشمل

المراكز الحيوية ، التى يمكننا التأثير عليها بالعقاقير المهدئة ، أو المثبطة لنشاط المخ . وحتى رسم المخ المقطعى ، والرنين المغناطيسى لا يبرزان أية عوامل جديدة ولكن ...

صمت لحظة ، وهو يهز رأسه فى أسى ، فهوى قلب (قدرى) بين قدميه ، وهو يسأله بصوت مبجوح :

- ولكن ماذا ؟

أشار الدكتور (أحمد) إلى تقارير رسم المخ الموسوعة أمامه ، وهو يقول :

- ولكن هذه التقارير تشير إلى أن خلايا المخ تنهار فى ببطء .
سأله (قدرى) : وكل خلية من خلايا ترتجف جزعاً :

- وما الذى يعنيه هذا ؟

زجر الدكتور (أحمد) فى مرارة ، قبل أن يجيب :
- الذى يعنيه هو أنه ، حتى ولو استعادت (منى) وعيها يوماً ، فإنها لن تعود تلك الفتاة التى عرفناها .
وخفض عينيه مستطرداً فى حزن غامر :

- لن تعود كذلك أبداً .

وعلى الرغم من الزاوية التي ينظر منها
(قدرى) ، ومن الصدمة التي زلزلت حياته كله . مع
هذا القول ، إلا أنه استطاع أن يلمح ذلك الشيء ، الذي
تساقط فوق تقارير رسم المخ ..
لقد كانت قطرات دموع ..
دموع الدكتور (أحمد صبرى) ..

* * *

فجأة ، استعد (أدهم) وعيه ..

عاد إليه شعوره بكل ما حوله ، واستيقظ عقله
دفعة واحدة ، لينتبه إلى أنه راقد فوق أرضية باردة ،
والشمس تغمر وجهه ، ومن حوله وقع أقدام تتحرك
بلا نظام . فى حين أن قدميه ومعصميه مقيدان فى
إحكام ..

وعندما فتح عينيه فى بطم ، كان أول ما طاعنه
إبتسامة (آرتى) الساخرة ، وهو يقول :

- كم يسعدنى أنك قد استيقظت يا رجل ، فمن
المؤسف أن تلقى مصرعك ، دون أن تعلم كيف فعلها
بك (آرتى) الفنان .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يغتم :

- أخشى أن تتطور الأمور ، ويحول (آرتى) الفنان
إلى (آرتى) المسكين .

صك مسامعه صوت (ليديا) ، وهى تهتف فى
حقق :

- أما زلتا قادرا على السخرية والمزاح .

انفتحت إليها فى هدوء ، وانعقد حاجباه ، عندما رأى
الكرة المعدنية الضخمة ، المربوطة بسلسلة من المعادن
فى كاحليها ، وانتهى فى اللحظة نفسها إلى وجود كرة
مماثلة إلى جوار ساقه ، تصلها سلسلة مشابهة برباط
قدميه ، فقال دون أن تتلشى ابتسامته :

- كيف حالك يا عزيزتى (ليديا) ؟ .. أخبرينى ..

هل قرّر (آرتى) التوغل وضعنا فى أحد سجون العصور
الوسطى ؟ !

قلتها ، وهو يبذل قصارى جهده للتخلص من
قيوده ، التى بدت محكمة إلى حد كبير ، فى حين قال
(آرتى) فى شماتة :

- (آرتى) الفنان لن يضيع الوقت فى رعاية

السجاء .. إنه - وبكل بساطة - سينقى بكما فى قاع
المنطقة العميقة من حوض السباحة ، ووظيفة هذه
الكرات المعدنية الثقيلة ، هى التأكد من بقائكما فى

القاع ، حتى تنفجر رنة كل منكما .

مط (أدهم) شفتيه ، وهو يقول :

- مينة لا بأس بها ، ولكنها تختلف كثيراً عما
تصورته .

كان يتظاهر بالسخرية واللامبالاة ، وأصابه تبذل
قصارى جهدها لحل قيود معصيه بلا جدوى ، فى حين
انفجرت (ليديا) باكياً ، وهى تقول :

- هذه نتيجة تعاونى معك .. كان كل شيء يسير
على ما يرام ، حتى ظهرت فى الصورة .

أجابها (أدهم) فى تهكم :

- وحقت بضربة واحدة ما عجزتم عنه لعامين
عامين .. أنيس كذلك ؟

صاحت متهارة :

- كنت أفضل أن أتجح بعد عام آخر ، بدلاً من أن

ألقى مصرعى على هذا النحو .

ابتسم (أدهم) ، وهو يرمق (آرتى) بنظرة

جانبية ، قائلاً :

- ومن قال إننا سنلقى مصرعنا يا عزيزتى

(ليديا) ؟ .. إن (آرتى) الوغد يداعبنا فحسب ..
أراهنك أنه لم يحصل على موافقة دون بعد ، ليفعل بنا
هذا .

أجابها (آرتى) فى حدة :

- بون ما زال فاقد الوعى ، ولكننى واثق من أنه
سيمتحنى مكافأة كبيرة ، عندما يرى جثتيكما ، فى قاع
الحوض .

ثم أشار إلى رجاله ، مستطرداً فى تشفّ :

- وحتى لا تضيع الوقت ، سنبدأ بك أيها المتبجح .

أسرع الرجال يحملون (أدهم) ، ووضعوا الكرة
المعدنية على حافة الحوض ، فاقترب منها (آرتى) ،
وهو يقول :

- اتن صلاتك الأخيرة يا رجل ، فدعة واحدة من

قدمى ستلقبك مع الكرة فى الحوض ، وتغوص بك إلى

عمق ستة أمتار كاملة .. قل لى : كم من الوقت يمكنك

كتم أنفاسك ؟

أجابها (أدهم) فى هدوء ساخر :

- ما يكفى لأراك عندما يستعيد دون وعيه ، ويقطع

بيدك بلا رحمة ، لكك قتلتنا دون الرجوع إليه .

قال (آرتى) فى ثورة :

- هل تظن هذا ؟ .. أرنا براحتك إذن يا صاح .

كانت قدمه تهتم بدفع الكرة المعدنية الثقيلة ، عندما

دوى صوت (ميديتشى) فى قوة :

- انتظر يا (آرتى) .. إياك أن تفعل .

احتقن وجه (آرتى) ، عندما أطلق (أدهم) ضحكة
ساخرة ، قائلا :

- ألم أقل لك ؟ .. متى ستتعلم الاستماع إلى نصائحي
يا (آرتى) الغبي ؟

تفجّر غضب الدنيا كلها فى وجه (آرتى) ، وصرخ
فى جنون :

- عندما تصل إلى الجحيم .

وبكل الغيظ والغضب والثورة فى أعصابه ، تجاهل
(آرتى) أوامر دون (ميديتشى) لأول مرة فى حياته ،

ودفع الكرة المعدنية الثقيلة نحو الحوض ..

وفى لحظة واحدة ، وجد (أدهم) جسده يركطم
بمياه حوض السباحة الباردة ، قبل أن يغوص مع الكرة
المعدنية إلى عمق ستة أمتار ..

وبسرعة مذهشة ..

* * *

انعقد حاجبا رجل المخابرات المصرى ، فى مكتب
(نيويورك) ، وهو يواجه دونا (كارولينا) ، قائلا فى
صرامة :

- كنت أظن أننا حسنا أمر خروجك هذا يا دونا ،

هزت كتفها فى عناد ، وهى تقول :

- لقد تراجععت .. اعتبرنى مجرد طفلة عتيقة ،
وتكننى أصر على الخروج من هنا .. أريد إجراء بعض
الاتصالات ، سأسعى للاستفادة من الموقف لأقصى
درجة .

ثم أضافت فى حدة :

- أم أنكم تعتبروننى سجينه هنا ؟

يدا الضيق على وجه الرجل ، وهو يجيب :

- أنت تعلمين أنك لست سجينه هنا أبداً يا دونا ..

إننا نتحدث عن حمايتك .

أشارت إلى صدرها ، قائلة فى غضب :

- أنا زعيمة زعماء (المافيا) ، ولو لم يكن

بمقتورى أن أحصى نفسى ، فليست أستحق هذه
الرعاية .

تنهد ، قبل أن يقول :

- هل تصرين ؟

أجابته فى حدة :

- نعم .. أصر على مغادرة هذا المكان ، حتى ولو

اضطرت لنقتال من أجل حريتى .

رفع حاجبيه فى دهشة ، وهو يقول :

- القتل ؟

ثم فتح الباب أمامها ، مستطرذا :

- لا حاجة بك للقتال يا دونا .. ها هو ذا الباب مفتوح على مصراعيه .. تفضلى ..

اندفعت تغادر المكان ، وهى تقول فى حدة :

- الوداع إذن .

راقبها رجل المخابرات فى صمت ، حتى استقلت المصعد ، لتهبط إلى مدخل البناية ، ثم التفت إلى زميله ، قائلاً :

- أبلغ (مراد) و (فهمى) لاسكنيا ، أن دونا (كارولينا) فى طريقها إلى أسفل ، وعنيهما أن يتبعاهما لحمايتهما ، دون أن تشعر بوجودهما ، ثم تعال لتعاونتى فى جمع أشياءنا ، حتى نعود إلى مكتبنا الأصلي ، ونسبم هذه الثقة لصاحبها .. هنا .

أما دونا ، فلم تك تغادر البناية ، حتى التقطت نفسها عتيقاً من هواء (نيويورك) ، وعبرت الشارع فى خطوات واسعة ، حتى بلغت أول هاتف عام ، قطبت رقم شقة رجالها ، ولم تك تسمع صوت أحدهم ، حتى قالت :

- أنا دونا .. لا تشدهش هكذا يا رجل ، ولا تصرخ ، فصوتك يكاد يخترق أذنى ، نعم - أنا بخير .. سأشرح لكم كل شىء عندما أعود .. المهم الآن أن تنقذ

ما مسأرك به نون إبطاء ، فلقد بدأت أميل إلى (نيويورك) هذه ، ولدى خطة لنقلها رأياً على عقب . قالت عبارتها الأخيرة ، وهى تبسم ابتسامة كبيرة ..

- وماكرة ..

* * *

امتقع وجه دون (ميديتشى) فى شدة ، عندما شاهد (آرتى) يدفع (أدهم) إلى الأعماق ، وصرخ فى جنون :

- ماذا فعلت أيها التعس ؟

ثم انقض على (آرتى) ، وصفعه على وجهه صارخاً :

- كيف جرؤت على مخالفة أوامرى ؟ كيف ؟

أجابه (آرتى) فى حدة غاضبة :

- كان يستحق هذا يا نون .. لن نبقى على حياته ، بعد كل ما فعله بك وهنا .

صرخ فيه (ميديتشى) :

- ولكنه أخذ المستندات أيها القبي ، وكان ينبغي

أن نعرف أين هى ، قبل أن نقضى عليه .. أنت غيبى .. غيبى وحقيق .

صاح (آرسي) ، مشيراً إلى (ليديا) :
- ولم لا تسأل تلك النعينة ؟ .. إنها لا تزال على قيد الحياة .

التفت (ميديتشي) إلى (ليديا) بالفعل ، وسألها
وجسده ينتفض انفعالا :

- أين هي يا (ليديا) ؟ .. أين الوثائق والمستندات ؟
أجابته في عصبية :

- نسيت أترى يا دون .. الشخص الوحيد ، الذي
كان يمكن أن يجيب سؤالك ، يرقد في قاع حوض
السباحة الآن .

احتقن وجه (ميديتشي) ، وسمع (آرسي) يقول
محتثا :

- فلتذهب تلك الأوراق النعينة إلى الجحيم ، لم أكن
لأترك هذا المتحلق حيا ، حتى ولو ...

التفت إليه دون (ميديتشي) فجأة ، وهو يصرخ :

- بل أنت من سيذهب إلى الجحيم يا (آرسي) ..

أنت .

قالها وهو يستل مسدسه ، وأطلق منه ست
رصاصات متتالية على جسد (آرسي) ، الذي جحظت
عيناه في ألم وذهول ، وهتف بصوت مختنق :

- أنت .. أنت يا دون ؟

ثم هوى جثة ممددة ، في حوض السباحة ،
و (ميديتشي) ينتفض غضبا ، هائلا :

- أنت تستحقها يا (آرسي) .. تستحقها عن جدارة .
كان يتطلع إلى الحوض ، الذي اصطبغ بلون الدم ،
وخليل إليه أن جثة (آرسي) تتحرك تحت سطح الماء ،
وترتفع في سرعة ، و ...

وفجأة ، برز رأس خارج الماء ..

وشهق (ميديتشي) في ذهول ..

فلم يكن نك الرأس يخص (آرسي) ، وإنما كان
هذا الذي صعد إلى السطح هو غريمه اللدود ..
كان (آدم) ..

* * *

عندما غاص جسد (آدم) في حوض السباحة
كالحجر ، أدرك هذا الأخير أن فرصته في النجاة محدودة
لنغاية ، مع تلك الثقل المقيّد في قدميه ، ولكنه كتم
أنفاسه في شدة ، محاولا إخماد الهواء القليل في
رئتيه ، وترك جسده يهبط إلى القاع ، وشعر بضغط
الأمطار الستة على آذنيه ، وهو يواصل محاولته
المستميتة للتخلص من قيوده ، ولما بدا له هذا عسيرا

إلى حد كبير ، لم يجد أمامه سوى أن يغوص بجسده
أكثر إلى القاع ، حيث استقرت الكرة الثقيلة ، واستقر
مرونته الفائقة ، وكل ما تعلمه منذ أكثر من عشرين
عاماً ، فى دروس الجمباز (*) ، ليثنى جسده وركبتيه
على نحو مدهش ، لا يتألم فيه سوى أبطال السيرك ،
ويصل بأسنانه إلى الحبل الذى يربط قدميه ، والذى
تتصل به تلك السلسلة ، التى تنتهى بالكرة الثقيلة ..
ولم يكن الأمر سهلاً ..

لقد استغرق ما يقرب من دقيقة كاملة ، كادت
أنفاسه تنقطع خلالها ، قبل أن ينجح فى فك عقدة
الحبل ، ويخلص قدميه من ذلك الثقل ، الذى يشده إلى
القاع ..
وبكل قوته ، دفع (أدم) جسده إلى السطح ،
ليستنشق الهواء النقي ..

وفجأة ، سمع دوى الرصاصات ، ثم سقطت جثة
(آرتس) فى الحوض ، الذى اصطبغت مياهه بلون
الدم ..

(*) الجمباز : تمارين رياضية ، الهدف منها اكتساب مرونة
عضلية ، وفترة على التحكم فى شدات العضلات ، وتنمية الجسم
بشكل متوازن ، ويعود الفضل فى نشأة هذه الرياضة فى العصر
الحديث ، إلى (فريدريك لودفنج يان) .

وتفادى (أدم) الجثة ، وهو يضرب الماء
بقدميه ، وصدره يكاد يتفجر ، حتى برز رأسه فوق
السطح ، فأطلق شهقة قوية ، وهو يملأ صدره
بالهواء ..

وفى ذهول فرح ، صاحت (لديا) :

- إنه هو .. مستحيل ! .. مستحيل !

أما (ميديتشى) ، فصاح فى رجاله :

- أخرجوه من الماء .. أسرعوا ..

أسرع الرجال يجذبون (أدم) خارج الماء ، وهذا
الأخير يلتقط أنفاسه فى صعوبة ، ويلهث فى شدة ،
ويدها مكبلتان خلف ظهره ، فاقرب منه دون ، يسأله
فى انفعال :

- أين الوثائق ؟ .. أين أخفيت الوثائق ؟

كان (أدم) يسعل ويتأوه ، ويبدو أشبه بمن يعانى
من غيبوبة خفيفة ، وأنفاسه تتلاحق على نحو عجيب ،
فهتف (ميديتشى) فى رجاله :

- ماذا تنتظرون ؟ .. أسعفوه بسرعة .. لابد وأن

يخبرنا أين أخفى الوثائق ، قبل أن يلفظ أنفاسه
الأخيرة .

التف الرجال حول (أدم) ، يحاولون إسعافه ، إلا

أن أنفاسه ظنّت تتردّد كاللهث ، وعيناه تدوران فى محجريهما ، كمن يعانى سكرات الموت ، فأسرع أحد الرجال يحلّ وثاقه ، و ...

وفجأة ، استعاد ذلك الجسد المتهالك نشاطه كنه دفعة واحدة ..

لم يكد الرجل يخنصه من قيوده ، حتى ففز (أدهم) واقفاً بين الرجال فجأة ، وهو يهتف ساخراً :
- مفاجأة .

وقبل أن تمرّ نصف الثانية ، كانت أطرافه الأربعة تتحرك كلها فى آن واحد تقريباً ، فبركل هذا ، ويضرب ذاك ، ويلكم رجلاً ، ويدفع آخر ..

وتراجع دون (ميديتشى) كالمصعوق ، وهو يرى رجاله يتساقطون بسرعة ، قبل أن يتمانكوا أنفسهم ، ويفيقوا من أثر المفاجأة ، ثم رأى (أدهم) يلتقط مدفعاً أنياً ، وهو يهتف :

- خسرتم أيها الأوغاد .

وفى اللحظة التالية ، كان رجال المباحث الفيدرالية الأمريكية يقتحمون القصر ، ويتبادلون إطلاق النيران مع رجال (ميديتشى) ، فصرخت (ليديا) فرحاً :

- أخيراً .. لقد وصل الرفاق .

أجابها (أدهم) فى سخرية ، وهو يلتمس رجلاً آخر :
- بهذه السرعة ؟! كنت أتصور أن أسامهم دهرًا آخر ، قبل أن يتخذوا هذا القرار .

أما دون (ميديتشى) ، فأدرك أنه قد خسر معركته ، فأتطرق بكل الغضب والسخط فى أعماقه إلى حيث تقف سيارته المصفحة ، وهو يهتف :

- اللعة !.. كل شيء انتهى .. كل شيء .

وقفز داخل السيارة ، وأطلق بها على الفور نحو الباب الخلفى المسمى للقصر ، وفتح به بضغط زر على جهاز خاص فى السيارة ، ولكنه لم يكد يتجاوزه ، حتى اعتراض طريقه سيارة أخرى ، وانقض على سيارته أربعة رجال يحملون المدافع الآتية ، فى حين بدت أسامة بونا (كارولينا) ، داخل السيارة التى تعترضه ، وهى تشعل سيجارتها فى هدوء ، وترمقه بنظرة جاتبية ، قائلة :

- إلى أين يا دون (ميديتشى) ؟! أأنتك موعد ما ؟!
وهنا .. هنا فقط ، أدرك (ميديتشى) أنه قد خسر معركته ..

معركته الأخيرة .

* * *

أوقفت دوناً (كارولينا) سيارتها الفاخرة أمام
المستشفى فى (نيويورك) ، وابتمت وهى تقول
لـ (أدهم) ، الجالس إلى جوارها :

- لمست أدرى كيف أشكرك .. لقد كنت رائعاً
كعهدي بك .. إننى أدين لك بالكثير .
أجابه فى هدوء :

- بالتأكيد ، وأول ما تدين به هو وثائق ومنقبات
التعاون ، بينكم وبين (الموساد) .
ابتسمت وهى تتطلع إليه ، ثم ناولته علبة
اسطوانات كمبيوتر ، قائلة :

- ستجدها كلها هنا .. أنت تستحقها عن جدارة .
التقط العلبة ، وهو يقول :
- أشكرك يا دوناً ، وأرجو أن يكون هذا آخر تعاون
بيننا ، على هذا النحو .

أجابه بابتسامة فاتنة :
- المهم ألا تكون آخر مرة أراك فيها .
أوما برأسه مبتسماً ، وقال :
- أعدك بهذا .

وفتح الباب ليغادر السيارة ، ولكنه توقف ليسألها :
- بالمناسبة يا دوناً .. الجميع يتساءلون عن سر
الاختفاء الغامض لدون (ميديتشى) ، وأعتقد أن لديك
الجواب .. أليس كذلك ؟

هزت كتفها ، وهى تقول فى خبث :
- من يسرى ؟! .. أنت تعرف دون (ميديتشى)
ونمطيته السخيفة ، ربما اشتاق لقضاء إجازة عند
البحيرة ، فوضع قدميه فى دلو مملوء بالأسمنت ،
وذهب ليزاول رياضة الغوص هناك .

عقد حاجبيه ، وقد فهم ماتعنيه ، وقال :
- أسألك لا تروق لى أبداً يا دوناً .
هزت كتفها ، قائلة :
- ولكنها توفر الكثير من الوقت ، فلم يعد هناك داع
لمؤتمر أول الشهر .

ثم اعتنبت ، مستطردة :
- إلى اللقاء يا (أدهم) .. أشكرك مرة ثانية على
مافعلته من أجلى .
قال فى هدوء :

- لقد فعلته من أجل (مصر) .
اتسعت ابتسامتها ، ثم تحولت إلى ضحكة كبيرة ،
وهى تلوح بيدها ، قائلة :

- صدقتي .. أنا أحسد صديقتك ، على الرغم من
غيوبتها .. أحسدها كثيرا .

ثم انطلقت بسيارتها مبتعدة ، وهي تتوَّحُّ نه بيدها ،
فارتسمت على شفتيه ابتسامة حزينة ، وهو يغمغم :
- تحسدينها ؟

ولم يكد يستدير ليندلق إلى المستنقى ، حتى وجد
(ليديا) أمامه ، تبسم ابتسامة خاوية ، وهو يقول :
- أهلاً .. (تني أنتظرك .

ابتسم ، قائلا :

- كيف حالك يا (ليديا) ؟ .. هل حصلت على
الترقية ، التي كنت تبغينها ؟
ملأت عينوها بوسامته ، قبل أن تجيب :

- اسمي ليس (ليديا) .. اسمي (سوزان) ..
(سوزان بانكروفت) .

أجابها في بساطة :

- كلاهما يناسبك .

تطننت إليه مرة أخرى في صمت ، وأطلت الوجد من
عينيهما ، قبل أن تسأله :

- لقد أتيت من أجل صديقتك .. أليس كذلك ؟

أومأ برأسه إيجاباً ، فتنهَّدت قائلة :

- كنت أعلم أنه من العسير أن تكون وحيداً .

ثم مدت يدها تصافحه ، مستطردة :

- الوداع يا (أدهم) .. تلك الساعات التي قضيتها

معك ، كانت أسعد ساعات عمري ، على الرغم من كل
ماواجهناه فيها .. حاول أن تتذكرها دائماً . كما سأفعل
أنا ، ولا تنس أبداً أن قنبي مفتوح لاستقبالك ، وقتما
تشاء .

ابتسم مغمضاً :

- لن أسمى يا (ليديا) .. أقصد يا (سوزان) .

كانت عقارب الساعة تقترب من الثامنة والنصف
صباحاً ، عندما صافحته للمرة الثانية ، قبل أن تستقل
سيارتها مبتعدة ، وهي تسمح بسوفاً كتمتها طويلاً ..

وفي الثامنة والنصف وخمس دقائق ، كان

(قدرى) يندلق إلى قسم الحالات الحرجة ، كعادته كل

صباح ، ولكنه لم يكد يقترب من حجرة (منى) هذه

المرة ، حتى توقف بغتة ، واختلج قلبه بين ضلوعه ،

في رقصة ناعمة جميلة ، وترقرق الدمع في عينيه ..

لقد وقع بصره على (أدهم) ، وهو يجلس إلى

جوار فراش (منى) ، ويحتضن يدها الرقيقة بكفيه في

حضان بائع ، وعيناه تمسحان وجهها بحب جارفاً ..

كانت كل مؤثراتها هائلة ناعمة ، وكان روحها
 تعلن أن حبها أقوى من غيوبتها ومأساتها ..
 بل أقوى من الحياة نفسها ..
 أما عيناه ، فكانتا تعلنان أن هذا الحب سيظل يقمر
 قلوبهما مهما كانت النتائج ..
 ومهما طال الزمن .

* * *

www.liilas.com/vb3

[تمت بحمد الله]

eman

رقم الإيداع : ٣٦١٩

المطبعة العربية الحديثة

١٠ شارع ١٢ منطقة الصناعية بدمشق

الهاتف - ٢٦٦٧٩٦٦ - ٢٦٦٥٥٥١